

مجلة كلمة حق

السنة الثانية

العدد ٢٢

مايو ٢٠١٩

كلمة حق

افتتاحية العدد: في وداع الشيخ عباسي مدني

د. توفيق الشاوي

انهض واقتله أولاً (١)

عبدالله محمد

صفقة القرن لن تمُر!

أحمد قنيطة

مذكرات رفاعي طه (١٤)

محمد إلهامي

أدب المقاومة المبعثر

حامد عبدالعظيم

وغيرها من المقالات ..

محتويات العدد ٢٢

مايو ٢٠١٩

كلمة حق
klmtuhaq
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية

في وداع الشيخ عباسي مدني

بقلم: د. توفيق الشاوي (١)



"إن عباسي مدني منذ نشأته جرئ وشجاع، حتى إنه كان أول من نفذ دعوة جبهة التحرير في أول نوفمبر عام ١٩٥٤ م، وكانت مجموعته هي التي ألقت أول قنبلة على دار الإذاعة، وكانت هـذه القنبلة هي فاتحة الكفاح المسلح في ثورة التحرير، وترتب على ذلـك أنـه اعتقل وسُجن وبقي في السجن طوال مدة الثورة، ولم يخرج إلا بعد إعلان الاستقلال، وها هـو ذا يسير في طريق الثورة الثانية، للدفاع عن مـبـادئ الإسـلام وأصـالـة الشعب وهويته، ضد قوى التبعية والإلحاد".

الشيخ أحمد سحنون

****

كنت أتفق مع عباسي مدني على أن جبهة الإنقاذ تخوض ثورة جزائرية وطنية صميمة ضد النفوذ الأجنبي والفرنسي خاصة لتمكين شعب الجزائر من الدفاع عن هويته وأصالته، وأن عداء فرنسا لجبهة الإنقاذ ليس لصالح الحكومة الجزائرية أو العناصر العسكرية المسيطرة عليها، وإنما هو لأهداف استراتيجية للسيطرة الأجنبية الإمبريالية على شمال إفريقيا، وإفريقيا كلها، وإبقائها تحت النفوذ الفرنسي والأجنبي على العموم، وآلمني أن كثيرين في الجزائر وخارج الجزائر لا يدركون ذلك، بل لاحظت أن منهم بعض الإسلاميين بكل أسف.

كان عباسي مدني يقول عن حركته: إنها هي الثورة الثانية، بل الثورة الحقيقية لشعب أصيل يدافع عن مقوماته وشخصيته ووحدته، إنها مرحلة ضرورية لاستكمال أهداف الثورات السابقة، ليس فقط ثورة التحرير التي انتهت بالاستقلال، بل الثورات المتتالية منذ بدء الغزو الاستعماري للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر والثورات العديدة المتوالية بعد ذلك، لأن كلها ثورات إسلامية للدفاع عن أرض الإسلام وقيمه وسيادة أمته وشعوبها، كل ما هنالك أن فترة الحكم الوطني وحكومات جبهة التحرير الوطني عجزت عن تحقيق طموحات الشعب، ومكنت العناصر المتفرنسة والعميلة من احتلال مراكز القوى في الإدارة والجيش، وهذه العناصر ذاتها هي التي دبرت الانقلاب فيما بعد، وما زالت القوى الأجنبية تساعدها وتدفعها دفعًا لكي تقضي على مقومات الشعب الأصيل وإذلاله وفرض عملية التغريب والفرنسة والتمزيق، ولو أدى ذلك إلى إبادة العناصر الحية الأصيلة فيه ليستسلم للسيطرة الأجنبية التي قاومتها شعوبنا جميعًا وما زالت تقاومها حتى الآن.

---

(١) د. توفيق الشاوي: المفكر الإسلامي الكبير وأستاذ الجيل من فقهاء القانون، وصهر الفقيه القانوني المعروف عبد الرزاق السنهوري، وصاحب المؤلفات المعروفة في الفقه والقانون، ولد عام ١٩١٨ ، وارتبط مبكرًا بالإخوان المسلمين ووضعه الإمام الشهيد حسن البنا في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي، ومن هنا بدأت رحلته مع مجاهدي الشمال الإفريقي، وهو الأمر الذي استمر معه إلى نهاية حياته، حيث توفي في القاهرة ٢٠٠٩ م.

وقد سجل د. الشاوي في مذكراته "نصف قرن من العمل الإسلامي" كثيرًا من الأحداث المهمة لا سيما ما يتعلق منها بالتجربة الإسلامية في المغرب العربي، والتي كان منها حديثه عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتجربتها، حيث كان في بعض فصولها وسيطًا بين الحكومة وقادة الجبهة، وهذا الحديث هو الذي نستلّ منه هذه الافتتاحية لهذا العدد من مجلة "كلمة حق".

لهـــذا السبب كنـت معارضًا لـقـادة الهيئات والأحزاب الأخرى وخاصة من يرفعون شعارات إسلامية مـثـل الـشـيـخ محفوظ نـحـنـاح لأنـهـم يتخلون تدريجيًّا عن المشاركة في هذه الانتفاضة الشعبية بـل ويـعـاونـون العناصر المسيطرة على الدولة المتآمرة على الإنقاذ التي تقود هذه الثورة الإسلامية.



عندما قررت السفر عائدًا أصر الشيخ عباسي على أن يوصلني بسيارته إلى المطار، وفي الطريق كنا وحدنا ودار بيننا حديث طويل حاولت فيه أن أسبر أبعاد خطته ومدى ثباته وصلابته؛ لأنني كنت أخشى أن يكون هذا آخر لقاء بيني وبينه وكنت أتوقع حملة مركزة على شخصه بل واغتياله، وإن كنت لم أصرح له بذلك، كان حديثي عن المرحلة الحالية في تاريخ الأمة الإسلامية، ونهضتها ووحدتها التي تعارضها القوى الأجنبية.

سألته إن كان يدرك دور القوى الأجنبية والصهيونية خاصة فيما نواجهه من مشاكل وما نخوضه من معارك في جميع أقطارنا، فقال: هذا هو بيت القصيد، وهذا هو ما يعرفه كل مسلم في الجزائر بصفة خاصة، إن تأييد الجماهير للجبهة سببه أنهم يعتبرون هذه الحركة مكملة لكفاحهم الوطني وأنهم ما زالوا يخوضون معارك الجهاد في ثورة التحرير التي كان الفرنسيون فيها يصفونهم بأنهم المسلمون في الجزائر، وكان الشهداء الذين ماتوا فيها والأبطال الذين لم يموتوا يعتبرون أنفسهم مجاهدين في سبيل الإسلام، إن الإسلام كان عقيدتهم ووطنهم وهويتهم وقوتهم، وهم يعتبرون أن جبهة التحرير قد خانت هذا الهدف

ومكنت الاشتراكيين والعلمانيين بل والمتفرنسين من سرقة الاستقلال الذي حققه الشعب بجهاده ووحدته وتضحياته، وذلك كله تحت شعارات زائفة مثل التقدمية أو الاشتراكية أو القومية أو العلمانية. إن العناصر التي ساءها انتصار الجبهة في الانتخابات البلدية وتحاول أن تدفع الجيش والحكومة لاغتصاب سيادة الشعب ومنع الإسلاميين من الوصول إلى السلطة، إنما هي عناصر في مجموعها من الفرانكفونيين وبقايا اليساريين والعلمانيين الذين تسللوا إلى مراكز القوى في ظل حكومات جبهة التحرير، ويستخدمونها الآن في مقاومة جبهة الإنقاذ لإتمام مهمتهم في اقتلاع الإسلام من هذه البلاد؛ ولذلك فإن الشعب يعتبرهم العدو، وهم "حزب فرنسا" في نظرهم.

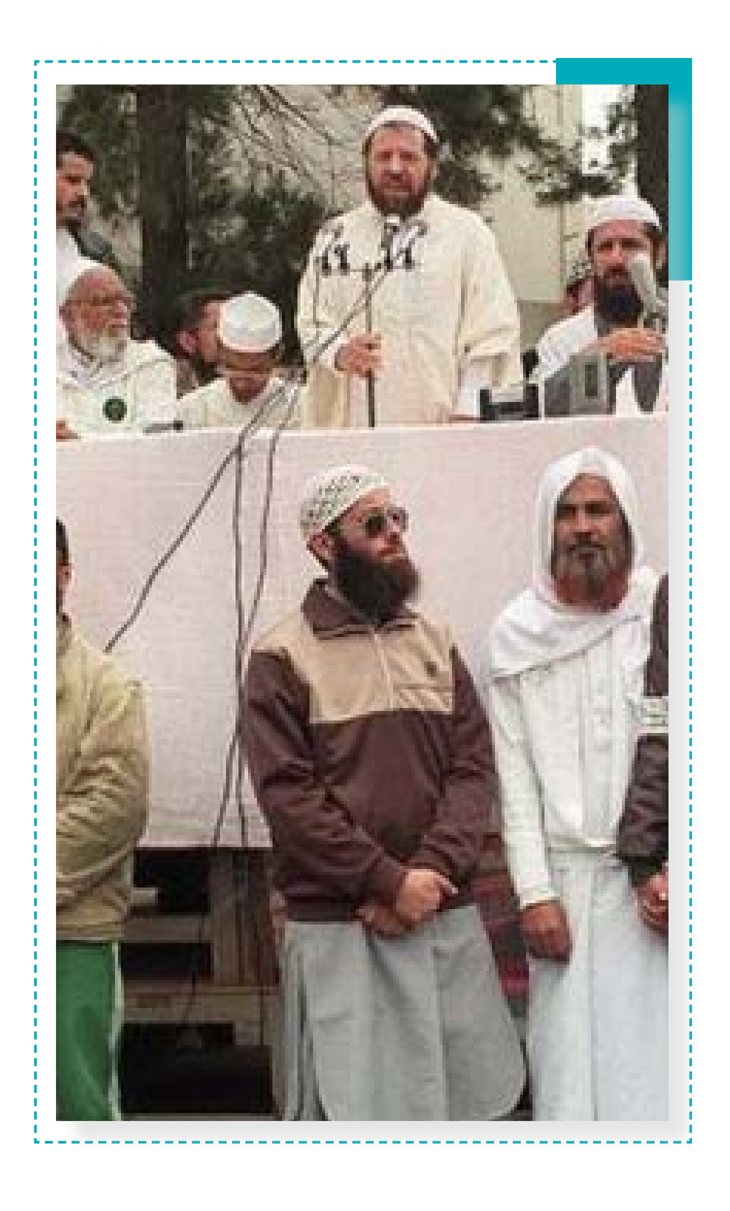
قلت: إننا متفقون إذن، بقي أن أقول لك إن الخطة الاستعمارية الحالية هي دفع البلاد إلى فتنة أو حرب أهلية، وتكون السلطة أو الدولة هي العدو الأول وننسى دور القوى الأجنبية ويصبح دور السلطة المحلية هو أن تنفذ خطط الاستعمار وتوجيهاته مقابل إمداده لهم بالمال والسلاح وتمكين العناصر الموالية بهذه السياسة من احتكار السلطة والحكم أطول مدة ممكنة، فكيف نستطيع مقاومة هذه الفتنة؟



قال: إن الشعب الجزائري يعرف هذا، ولذلك فإننا نصر على إجراء الانتخابات البرلمانية بأسرع وقت ممكن، حتى يستطيع ممثلو الشعب المسلم أن يحقق هدفه في التحرير الكامل الشامل بأسلوب دستوري وقانوني وسلمي، ينهي سيطرة هذه العناصر التي تسللت إلى مراكز القوى في الحكومة والجيش والدولة، ولكنهم يسدون علينا هذا الطريق السلمي ولن يكون أمامنا إلا دعوة الشعب للجهاد والمقاومة.

قلت: إنك تعرف أن الفتنة إذا وصلت إلى حد القتال واستعمال السلاح فإنه يصعب السيطرة عليها ويصبح التغلب للأقوى، وهم يعتبرون أنفسهم أصحاب القوة ليس فقط بسيطرتهم على الحكم بل بالسيطرة العالمية للقوى الأجنبية التي تؤيدهم وتزودهم بكل ما يحتاجون إليه للقضاء على المقاومة الشعبية، ولو اقتضى الأمر تخريب البلاد وتمزيق وحدتها.

قال: إن هذا الشعب قاوم أعداءه وخاض معارك طويلة ضد الاستعمار منذ بدأ الغزو الفرنسي، وهو الآن يواصل جهاده للتحرر والنهضة والدفاع عن كيانه وذاته وأصالته وهويته، وقد نجح في طرد الجيوش الأجنبية من أرضه، وهو واثق من قدرته على القضاء على أذناب الاستعمار ورواسبه لإتمام تحرره الكامل.



قلت: هناك شيء أريد أن أذكره، وهو أن القوى الأجنبية لها هدف مباشر هو دفع الحكومة إلى حل جبهة الإنقاذ وتحطيم تنظيمها واعتقال أنصارها وإبعادها من الساحة السياسية كما فعلوا معنا في مصر، وقد حققوا هذا الهدف بالنسبة للإخوان في مصر وحققوه مرة ثانية بالقضاء على تنظيم النهضة في تونس، وهذا هو ما يريدونه الآن في الجزائر، لكي يستقر في العالم العربي قاعدة عامة هي عدم وجود أحزاب إسلامية أو أصولية كما يسمونها تعمل في الساحة السياسية.

إن أول خطوة تتجه إليها السلطة الموالية للقوى الأجنبية في الجزائر ستكون حل جبهة الإنقاذ واعتقال أنصارها ومحاكمة قادتها والحكم عليهم، حتى تصبحوا أنتم مثل الإخوان في مصر والنهضة في تونس، ويكون أمامكم سنين طويلة مثل السنوات التي مرت علينا ونحن نواجه وصف حركتنا بأنها "جماعة منحلة".

قال: إن ما واجهه الإخوان في مصر لم يزدهم إلا قوة وانتشارًا، وشعبنا سوف يزداد عزمًا وتصميمًا، ولن يسلم أو يستسلم وسيواصل جهاده الذي بدأ منذ أكثر من مائة وخمسين عامًا.

قلت: إن هذا صحيح، لكن هذا الجهاد كان له ضحايا وقدم شهداء وأبطالًا استشهدوا لأنهم صمدوا ولم يتراجعوا أمام القوة الغاشمة، وأنت تعرف الإخوان وأبطالهم الذين واجهوا الاضطهاد والتعذيب وأحكام السجن والإعدام، وأخشى أن تكون أنت مستهدفًا، كما أخشى إذا تطورت الأحداث أن تكون أنت وقادة الإنقاذ معرضين لهذا المصير.

قال: أنا على أتم الاستعداد وأعلم ذلك يقينًا.

قلت: لقد أديت واجبي وعرضت عليك حالنا والدروس التي أرجو أن تعيها أنت وإخوانك من تاريخ الإسلام والحركة الإسلامية خارج بلادكم، والأمر لكم، ولسنا نحن الذين نصدكم عن الجهاد طالما أنتم واعون لهذا الدرس.





صفقة القرن لن تمُر

أحمد قنيطة

بالأمس القريب، وبعد توليه زمام القيادة في الولايات المتحدة الأمريكية، خرج علينا الرئيس الأمريكي دونالد ترمب لينقلب على السياسات الأمريكية المعهودة تجاه القضية الفلسطينية منذ عقود، معلناً للعالم عن عزم إدارته تصفية القضية الفلسطينية وفق صفقة سياسية مُلزمة لجميع الأطراف وغير قابلة للنقاش أو التفاوض، أُطلق عليها مسمى "صفقة القرن" أو "صفقة العصر"، ضارباً بعرض الحائط كل المساعي الأممية والقرارات الدولية والمفاوضات العبثية التي دارت على مدار تاريخ الصراع بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الصهيوني، إيذاناً بدخول هذا العالم المتآمر مرحلة جديدة من مراحل الصراع، تبدو فيها المواقف أكثر وضوحاً والتحالفات أشد تجذراً، تَكشفُ فيها الحكومات العربية الوظيفية عن وجهها القبيح بكل وقاحة، باصطفافها مع الغرب الظالم ضد مصالح الأمة وحقوقها.

ما يزيد عن ستةٍ وعشرين عاماً من وهْم المفاوضات التي خاضتها حركة فتح و"السلطة الفلسطينية" مع الاحتلال الصهيوني لم يُحققوا خلالها إلا "صفراً كبيراً"، ذاق الشعب الفلسطيني مرارتها وويلاتها على مدى سنوات تلك المفاوضات العبثية، فلقد باتت "السلطة الفلسطينية" مجرد أداة لتطبيق بنود المعاهدات الدولية والاتفاقيات الثنائية بينها وبين العدو الصهيوني بحذافيرها، وما يترتب عليها من التزامات أمنية تحتّم على الأجهزة الأمنية "اللا وطنية" ملاحقة المقاومين ورصد تحركاتهم، بل وتقديم المعلومات للعدو عن أماكن وجودهم من أجل اعتقالهم أو اغتيالهم، ناهيك عن الكوارث الاقتصادية المترتبة على تلك الاتفاقيات التي جعلت الاقتصاد الفلسطيني برمته تحت تصرف الاحتلال، ما أثقل كاهل شعبنا وزاد من فقره ومعاناته، وفي المقابل تنصّل العدو من معظم التزاماته في تلك الاتفاقيات، ليحقق نجاحات ضخمة على طريق سعيه لتصفية القضية الفلسطينية.



جاءت صفقة القرن لتحل من وجهة النظر الأمريكية المشاكل المستعصية في المفاوضات "الفلسطينية الصهيونية" التي تسمى بقضايا الحل النهائي (القدس، العودة، الدولة)، ولكن بانحياز واضح وتام للعدو الصهيوني، بعد أن أدارت الإدارة الأمريكية الجديدة ظهرها للسلطة التي أدّت دورها على أكمل وجه في وأد ثورة الشعب الفلسطيني وانتفاضته المجيدة بوجه المحتل الغاصب، أملاً في أن يعطيها "المجتمع الدولي" دويلة منزوعة السلاح كما السيادة على حدود عام ١٩٦٧ م، لكنها كانت تلهث خلف السراب، متجاوزةً شعبها الثائر وفصائله المجاهدة التي لطالما نصحت قيادة فتح والسلطة بالعودة إلى طريق الجهاد والكفاح المسلح، كسبيل وحيد لتحقيق حلم التحرير والعودة والدولة بالمقاومة والتضحيات لا بالمقامرة والمفاوضات.

نجح العدو الصهيوني وبدعم عالمي وتواطؤ عربي رسمي في تطبيق معظم بنود صفقة القرن كما يرى باحثون ولم يبقَ سوى بعض القضايا الإجرائية الشكلية، يتبعها الإعلان الرسمي عن انتهاء القضية الفلسطينية، في صورة أشبه بمسرحية هزلية أو كرنفال احتفالي يقيمه أباطرة الظلم والإرهاب على جراحات وعذابات شعبنا الفلسطيني الصابر، يليه اعتبار دولة الاحتلال "رسمياً" كياناً طبيعياً في المنطقة، بعد أن كان العدو الأول والأبدي للعرب والمسلمين، ونرى اليوم بأمِّ أعيننا سعار التطبيع العلني والاستجداء من قبل الحكومات العربية والخليجية للكيان الصهيوني، بل واعتباره شريكاً أساسياً في الحرب على حركات المقاومة والشعوب الثائرة في المنطقة من جهة، والتحالف مع الصهاينة ضد المشروع الإيراني التوسّعي من جهة أخرى بزعمهم في وقت تُقيم تلك الحكومات بعينها علاقات اقتصادية ضخمة مع إيران التي تسيطر على ٤ عواصم عربية وتحتل ثلاث جزر إماراتية، وصدق القائل حين قال في أمثالهم: "كالمُستَجيرِ مِن الرَّمضاءِ بالنارِ"!

نقل أمريكا سفارتها في دولة الاحتلال من "تل أبيب" للقدس المحتلة، وسلوك بعض الدول الغربية نفس المسار الأمريكي في ذلك، وإعلان القدس عاصمةً لدولة الاحتلال، ثم الاعتراف الأمريكي بأحقية العدو الصهيوني في السيطرة على الجولان السوري المحتل مؤخراً، وما سيتبعه من إعلان صهيوني بضم الضفة الغربية رسمياً لسيطرة دولة الاحتلال كما يَتوقع مُراقبون، مع استمرار فصل غزة عن الضفة سياسياً واقتصادياً في ظل الحصار المتواصل على القطاع، وعمليات التهويد المتسارعة لمدينة القدس، والاقتحامات اليومية للمسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي من قبل المغتصبين الصهاينة، إيذاناً بإعلان "يهودية الدولة" لقطع الطريق على اللاجئين الفلسطينيين المُطالبين بحق العودة، وإيجاد حلول بديلة بتوطينهم في الأردن أو في دول الشتات، كلها ملامح واضحة لصفقة القرن المتوقع الإعلان عنها في الأسابيع القادمة.

شعبنا الفلسطيني وشعوبنا العربية والإسلامية وقوى الجهاد والمقاومة في الأمة، مُطالبون بمقاومة هذه الصفقة الآثمة وعدم الاعتراف بها ورفض كل ما يترتب عليها من آثار ونتائج، بعيداً عن الانزلاق نحو مستنقع الخضوع والخنوع والرضى بالأمر الواقع، أو اليأس من حالة التآمر والخذلان العربي والإسلامي لقضية فلسطين وقضايا الأمة في مختلف أقطارها، فالشعوب الثائرة المجاهدة التي تدافع عن حقوقها ومقدساتها، وفصائل المقاومة التي ما زالت تمتلك قرارها وسلاحها، قادرةٌ بعون الله على إدامة جذوة الصراع وعنفوان المواجهة مع العدو الصهيوني وأدواته في المنطقة، برغم كل المؤامرات الساعية لمسخ وعينا وتدجين ثقافتنا وطمس مبادئنا، أملاً في أن يقودوا شعوبنا بالحديد والنار والقمع والإرهاب نحو مزيدٍ من الإذلال والعبودية والتخلّف والرجعية، بعد أن ذاقت الأمة طعم الحرية والكرامة واستعذبت طريق المجد والعزة.

غزة الأحرار .. ضفة الثوار.. إدلب العز.. أفغانستان النصر.. ليبيا الثورة.. جزائر الشهداء.. سودان الإباء.. وغيرها من مناطق الأمة الثائرة، هي أرضيات خصبة ومُنطلقاتٌ كبرى، وبؤرٌ للنّورِ تشقُّ طريقها في عمق الظُلمة، نحو استعادة الأمة لحريتها وكرامتها، وعزها وسؤددها ومجدها التليد، بعد تحرير الشعوب المسلمة من الطغاة والمستبدين، الذين سرقوا خيرات البلاد وأفقروا العباد، وحاربوا الفضيلة وأشاعوا الرذيلة، حتى تأخذ الأمة دورها في تحرير فلسطين وطرد اليهود الغاصبين، إيذاناً لبعثٍ جديد لأمة الإسلام نحو قيادة العالم وسيادته، بكتابٍ يهدي قلوب الحائرين وجهادٍ يقصم ظهور المجرمين، حتى يعمّ هذه الأرض الأمن والإيمان، والسلامة والإسلام بعزّ عزيزٍ أو ذلّ ذليل.

"وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ".





للصحفي الإسرائيلي: رونين بيرجمان (١)

ترجمة وتلخيص: عبد الله محمد

بالدم والنار

في عام ١٨٩٦ نشر الصحفي النمساوي اليهودي ثيودور هرتزل كتابًا سماه "الدولة اليهودية"، خلص فيه إلى أن معاداة السامية متجذرة في أوروبا، ولا يمكن لليهود أن يعيشوا فيها، والحل الوحيد لهم أن ينشئوا وطنًا قوميًّا خاصًّا لهم.

انتشرت هذه الفكرة بين يهود أوروبا الفقراء، إذ كان أغنياؤهم مستقرين وراضين بحالهم، وفي عام ١٩٠٥ قامت الثورة الاشتراكية في روسيا ولكنها لم تنجح، وانتهت إلى أن قام القيصر ببعض الإصلاحات الشكلية، وطارد من شاركوا في الثورة بمن فيهم فقراء اليهود الروس الإشتراكيون، فهربوا إلى أماكن مختلفة في أنحاء العالم من ضمنها فلسطين.

---

(١) سلسلة مقالات تُترجم وتُلخص كتاب "انهض واقتله أولاً" للصحفي الإسرائيلي "رونين بيرجمان"، والكتاب صدر في يناير ٢٠١٨ .



في عـام ١٩٠٧ عقد أحـد يـهـود فلسطين يدعى (بن زفي) اجتماعًا سريًّا مع اليهود الروس الـهـاربـيـن مـن بطش القيصر، وقرروا في نهاية الاجتماع أن ينشئوا فرقة يهودية مقاتلة تقاتل لإقامة الدولة اليهودية، مستفيدين مـن خبرة اليهود الـروس، وسموا هذه الفرقة .

في بداياتها كانت مهمة هذه الفرقة هي تنفيذ الاغتيالات وحماية المستوطنات اليهودية، لم تكن حركة شعبوية في بدايتها، ولكن مع وفود ٣٥٠٠٠ يهودي إلى أرض فلسطين ما بين عامي ١٩٠٥ –١٩١٤ ، تزايد عدد أفرادها، ومع حلول عام ١٩١٢ كانت هذه الفرقة موكلة بالدفاع عن أربعة عشر مستوطنة يهودية في فلسطين.

كانت هذه الفرقة تغتال أي شخصية تعادي الفكرة الصهيونية، بداية من العرب وانتهاء باليهود المعادين للصهيونية، مثل Jacob De Haan وهو يهودي من أصل هولندي كان مقيمًا في القدس، اغتالوه قبل يوم واحد من من سفره إلى لندن، حيث كان متوجهًا للاحتجاج على وعد بلفور عند الحكومة البريطانية.

ولم تتوقف عمليات الجماعات اليهودية عند العرب واليهود فحسب؛ بل اغتالوا شبكة استخباراتية يهودية أسستها المخابرات البريطانية للتجسس على الدولة العثمانية وأسمتها NILI .



تغير اسم الفرقة إلى هشومر في ١٩١٢ ثم الهاجانا في عام ١٩٢٠، وكانت نواة للجيش الإسرائيلي لاحقًا، في هذا الوقت كانت تجري صراعات داخلية أساسها سياسة الاغتيالات؛ إذ كان جناح ديفيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل لاحقًا يؤمن بأنه يجب اتباع سياسة أكثر اعتدالًا، بينما كان اليمينيون يؤمنون بضرورة سفك دماء أكثر واتباع سياسة عمليات الاغتيال لأبعد حد، ونتج عن هذا الخلاف انشقاق مجموعات يمينية وتأسيس فرق مثل "ليهي" و"إرجون"، التي كان يرأسها في ١٩٤٠ مناحم بيغن رئيس وزراء إسرائيل لاحقًا وواصلوا عمليات القتل المستهدف بسِرية، كان من ضمنها عمليات اغتيال لأعضاء الشرطة البريطانية.

في بدايات الحرب العالمية الثانية تطوع أكثر من ٣٨٠٠٠ يهودي من سكان فلسطين للقتال في صف الجيش البريطاني ضد النازية، وسمي هؤلاء المتطوعون بـ"الفرقة". عاين هؤلاء اليهود أحوال اليهود في ألمانيا والنمسا والحدود الإيطالية، وكونت معايشتهم لهذه الأوضاع رغبة في الانتقام، وتعهد بعضهم ألا يُضطهد اليهود بعد اليوم.

مع نهاية الحرب أمر قادة الهاجانا بعض أعضاء الفرقة بالبقاء في أوروبا وعدم الرجوع إلى فلسطين، وأوكلت إلى هؤلاء الباقين مهمة ملاحقة النازيين الفارين والانتقام منهم، وسموا بـ Gmul ، وسلمت قيادتها لرجل اسمه مناحم غيتشون.

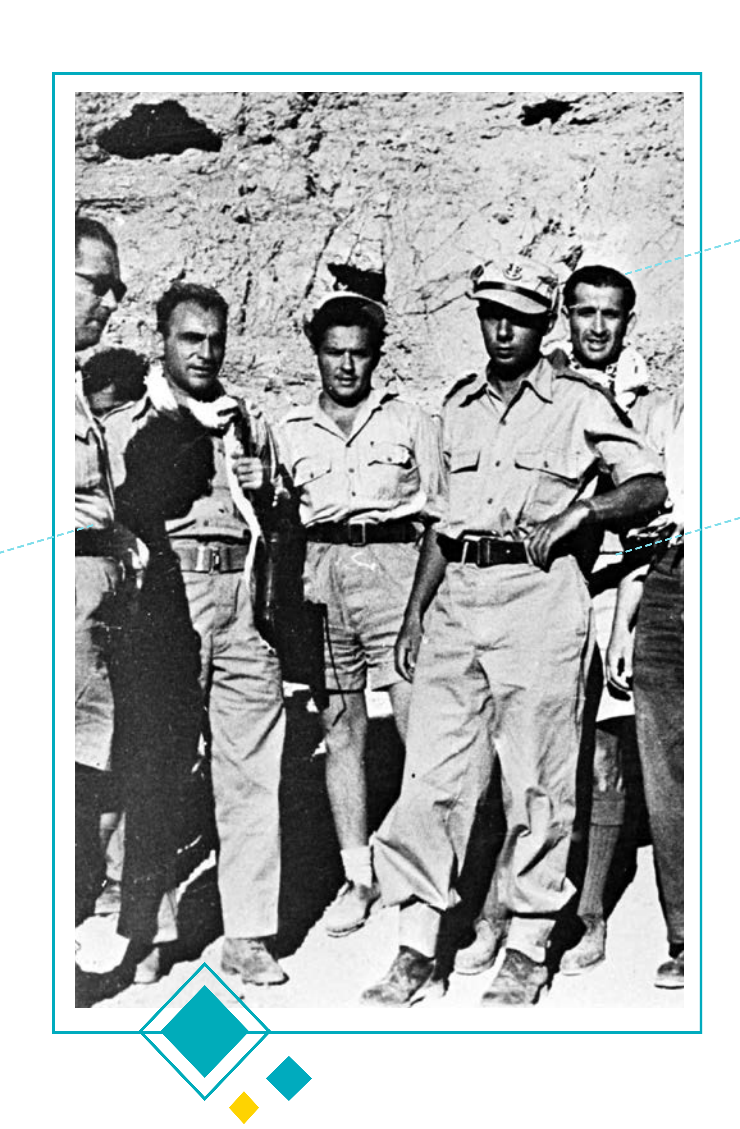
حصل مناحم غيتشون إثر مطاردته للنازيين الهاربين على وثائق للشرطة الألمانية لم تُتلف جيدًا في ثلاث مدن ألمانية ونمساوية هي Taraviso و villach و Klagenfurt وكان الحصول على قوائم العملاء وأماكن إقامتهم أول الغيث، ثم حصل أن قبضوا على عميل نازي قديم هُدد بالتعذيب فصرح بمعلومات خطيرة عن الشخصيات لم تكن موجودة في الوثائق كذلك، وبناء على ما تراكم لديهم من معلومات لاحقوا الألمان النازيين، وكانت عادتهم استخراج المعلومات من كل شخص ثم قتله حتى لا يتكلم، وفي غضون ثلاثة أشهر قتل من ١٠٠ إلى ٢٠٠ شخص على أيديهم. ولم تُحل هذه الفرقة إلا لما أحست القيادة البريطانية بفقدان الكثير من النازيين الموضوعين في قوائم المشتبه بهم.

كان الهاجانا الفاعل الحقيقي في أعمال اغتيالات الشخصيات البريطانية والعربية وأيضًا الألمان الذين كانوا يسكنون فلسطين بعد الحرب. ولكن هؤلاء الألمان هاجروا كلهم بعد ما اغتيل أحد كبارهم وهو Gotthelf Wagner وكان الدافع لاغتياله هو دعمه للنازية أيام الحرب.



أما البريطانيون فقد اغتيل الكثير من كبرائهم وقادة شرطتهم الذين أزعجوا الجماعات اليهودية السرية بالاعتقالات، أو عارضوا الفكرة الصهيونية، وكذلك اغتيل اللورد موين الذي كان وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط؛ إذ وضع العراقيل ضد الهجرة اليهودية الجماعية لفلسطين في ١٩٤٤ . أما جماعات مثل إرجون فقد فجرت فندق الملك داوود، وهو مكان إقامة المندوب البريطاني وإدارته، وقيادة الجيش البريطاني في فلسطين وشرطته.

شعرت القيادة اليهودية أن الدولة اليهودية لن تنعم بالاستقرار إلا إذا تأسست لديها أذرع استخباراتية في الداخل والخارج، ولهذا أسسوا لهم ثلاث شعب استخباراتية، الأولى وهي (الشاباك) أو الشين بيت وهي مخولة بالأمن الداخلي، والثانية هي (الموساد)، وهو مخول بالأمن الخارجي، والثالثة وهي (أمان) وهي وحدة الاستخبارات العسكرية.



في ١٩٥٤ هرب ضابط بحرية إسرائيلي من البلد متوجهًا إلى روما بغية بيع أسرار عسكرية إلى السفارة المصرية في إيطاليا، ولكن عميلًا للموساد أبلغهم بالقضية، وهنا كان أول اختبار للموساد؛ إذ كان عليهم اختطاف العميل في باريس قبل وصوله لإيطاليا وإعادته قبل إتمام صفقته، ولكن العملية أسفرت عن كارثة بكل المقاييس؛ إذ تُوفي الضابط في الهواء إثر جرعات تخدير زائدة ورموا جثته من طائرة الاختطاف قبل هبوطها.

القيادة العليا كلها بضربة واحدة

كان هذا الحادث ما دفع رئيس الموساد في ذلك الوقت هاريل لإنشاء وحدة للموساد مختصة بالاغتيالات لا غير، وبالفعل أسس هاريل هذه الوحدة التي سميت بـ Mifratz في بداية الأمر، وضمت أعضاء الجماعات المتطرفة أمثال إرجون وليهي وجنود سابقين في الجيش الإسرائيلي، كذلك وسلمت قيادتها لضابط شاب اسمه آرييل شارون.

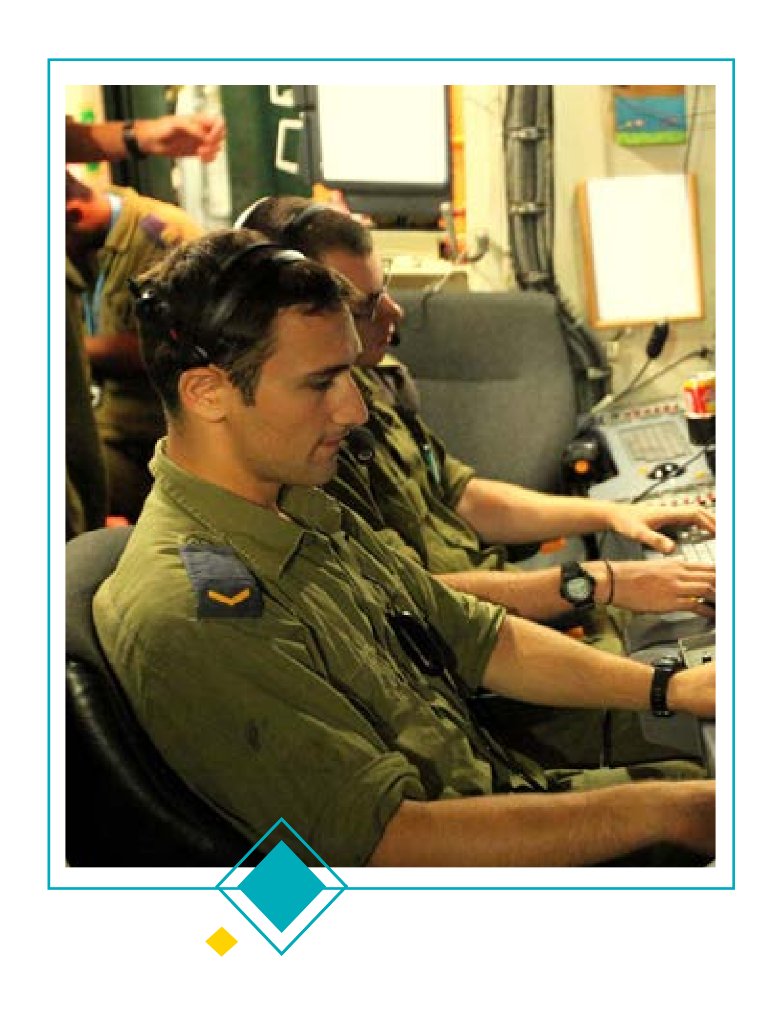
في هذا الوقت بدأت الاستخبارات العسكرية "أمان" تنفذ اغتيالاتها الخارجية، فاغتيل مصطفى حافظ الضابط في الجيش المصري في غزة، وصلاح مصطفى الملحق العسكري المصري في الأردن، كان هذان العسكريان يتحكمان بالفدائيين في فلسطين ووُكلت لهما مهمة تجنيدهم وإرسالهم وكل ما يتعلق بالفدائيين، وبما أن إسرائيل لم تستطع أن تتهم علنًا أيًّا من السلطة المصرية أو الأردنية فقد بدأت تعمل سرًّا بتجنيد العرب عن طريق المال أو النساء.

وما بين ١٩٤٨ –١٩٥٦ جندت إسرائيل أكثر من ٤٠٠ مخبر عربي في غزة كونوا مخزنًا للمعلومات، بناء عليها جندوا عملاء لاغتيال كل من الاثنين، ونجحت عمليتا الاغتيال اللتان نُفذتا بطردين يحويان متفجرات.



ولأن المصائب لا تأتي فرادى، فقد عثر الجيش الإسرائيلي بعد حرب ١٩٥٦ في منزل مصطفى حافظ بغزة على وثائق تحوي كل أسماء وبيانات الفدائيين المتخفين في فلسطين، لم يكن قد أخذها الجيش المصري الهارب من غزة معه، وشكلت هذه الوثائق فتحًا استخباراتيًّا؛ إذ كشف الغطاء عن مئات الفدائيين، وبناء عليه بدأت اغتيالات الشاباك للفدائيين الفلسطينيين عن طريق عملاء عرب يهدون إليهم صناديق الهدايا التي تحتوي المتفجرات، أو الأطعمة المسمومة وما إلى ذلك، وفي النهاية تبين أن هذه الاغتيالات كانت ناجحة تكتيكيًّا ولكن ليست كذلك على المستوى الإستراتيجي، فقد كانت الاغتيالات تطال الفدائيين الميدانيين الذين يمكن استبدالهم بغيرهم وليس قادتهم.

بدأ صعود إسرائيل كقوة استخباراتية عام ١٩٥٦ بعد الحرب، عندما عقد نيكيتا خروتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي بعد ستالين كلمة سرية جدًّا، تحدث فيها عن جرائم خلفه جوزيف ستالين، كان مثل هذا الأمر حساسًا ومحرجًا للقادة السوفييت، ولذا تكتموا على الكلمة إلى أقصى حد.



وصلت أنباء إلقاء مثل هذه الكلمة لمسامع CIA وجميع استخبارات العالم الغربي، ولكن لم يستطع أي منهم تجاوز جدار الاستخبارات السوفيتي الحديدي، وفي إحدى الأيام تلقت المخابرات الأمريكية الخطاب كاملًا عن طريق الموساد، مما أدى إلى اندهاش المخابرات الأمريكية وبعث الخطاب للرئيس الأمريكي مباشرة.

أما الموساد فقد بدأ ينفذ عملياته في البلاد التي ليست في حالة حرب مع إسرائيل رسميًّا، فاختطف ألمانيًّا نازيًّا سابقًا اسمه أدولف آيخمان في ١٩٦٠ يقيم في الأرجنتين على وأحضره إلى إسرائيل وأُعدم فيها، وأعطت التسريبات الإعلامية بهذا الشأن الموساد نوعًا من الهيبة، كذلك حاولت الوحدة ٨٢٠٠ وهي أكبر وأهم وحدة للاغتيالات في الاستخبارات العسكرية تفجير طائرة وفد مصري يرأسه عبدالحكيم عامر بناء على معلومات تلقتها من عملاء عرب في الداخل. كان الوفد راجعًا من سوريا قبل يوم واحد من بدأ حرب ١٩٥٦ ولكن عامر رئيس الوفد قرر في آخر لحظة أن ينتظر ويستقل الطائرة ثانية، وصعقوا بنبأ تفجير الطائرة الأولى التي كان يفترض أن يكون فيها الرئيس.

كأن السماء سقطت على رؤوسنا

في نهار يوليو ١٩٦٢ صعقت إسرائيل كلها بإعلان جمال عبدالناصر عن تصنيع مصر وامتلاكها لصواريخ بعيدة المدى تستطيع أن تضرب بيروت وكل ما يقع في جنوبها، أصبح هذا الإعلان بمثابة التعبير عن فشل الموساد الاستخباراتي. وكانت المصيبة الأخرى أن العلماء الذين صنعوا هذه الأسلحة كانوا علماء ألمانيين نازيين سابقين وعاطلين، جذبتهم أموال عبدالناصر.

أعلن إسير هاريل حالة طوارئ داخل الموساد، وأمر بتوجيه كل الجهود للحصول على معلومات عن البرنامج الصاروخي. وعلى الفور بدأ عملاء الموساد أولًا يتسللون إلى السفارات والقنصليات المصرية في أوروبا، ونجحوا في تجنيد عامل سويسري كان يعمل في Egyptair ، وهي شركة طيران كانت واجهة للاستخبارات المصرية. كانت مهمة العامل هي السماح لعملاء الموساد بالمجيء ليلًا لأخذ كافة المعلومات المتعلقة بالبرنامج التي وجودها من مخططات ووثائق وأسماء وعناوين، إلى منزل موساد آمن حيث سيصورون الأوراق ويأخذون النسخ، ثم يعيدونها في الليلة نفسها مرتين في الأسبوع.

كـان الموساد يعلم أن البرنامج لا يمكن أن ينجح بدون العلماء، ولذا فإن اختطاف أو اغتيال العلماء يعني نهاية البرنامج، وكانت المعلومات المتوفرة كافية للتخطيط لاغتيال العلماء الألمان. لكن محاولات اغتيال العلماء الألمان وخاصة كبارهم لم تنجح في البداية أحيانًا لعدم جاهزية الأسلحة وأحيانًا أخرى للصدفة. ومع محاولات الاغتيالات المتعددة جندت المخابرات المصرية خبيرًا أمنيًّا ألمانيًّا نازيًّا اسمه أدولف فالنتاين، والذي بدوره أرشد العلماء إلى الخطوات الأمنية الصحيحة، بداية بإعطائهم المسدسات وتعليمهم استخدامها، وانتهاء بإرشادهم إلى كل شيء في حياتهم اليومية.



كان الموساد في حاجة ماسة إلى التعامل مع فالنتين فقد أسهمت إرشاداته الأمنية في الزيادة من صعوبة الفتك بالعلماء، وفي نفس الوقت كان عملاؤهم يزيدون من جهدهم في جمع المعلومات والصور في كل سفارات مصر في أوروبا.

تمكن الموساد في هذه الفترة من التواصل مع الضابط أوتو سكورزيني في مدريد، وكان سكورزيني ضابطًا ألمانيًّا رفيعًا في المخابرات الألمانية النازية، وكان كبير مخططي عمليات الجيش النازي في الحرب، اشتهر بإنقاذه للرئيس الإيطالي موسيليني من الاختطاف أثناء الحرب العالمية الثانية. تواصل الموساد مع هذا الضابط واتفق معه على أن يتواصل مع فالنتين ويقنعه بترك البرنامج المصري للصواريخ مقابل أن يمسح الموساد بما لديهم من اتصالات اسم سكورزيني من قائمة العملاء النازيين المطاردين حول العالم.

تواصل سكورزيني مع فالنتاين ووعده بأحلام جميلة، فأوهمه بأنه يعمل سرًّا على إقامة الرايخ الرابع، وأنه يجب أن يمده بكل المعلومات حول برنامج صواريخ مصر، وبما أن سكورزيني كان أعلى مرتبة من فالنتاين في العهد النازي فإن فالنتاين امتثل للأمر. وعُطّل البرنامج الصاروخي كليًّا بعد ما أقنع سكورزيني العلماء الألمان شخصيًّا الذين لم يرحلوا إلى مصر بعد أن يبقوا في ألمانيا ليؤسسوا لإعادة أمجاد ألمانيا، وتلقى العلماء الألمان المقيمون في مصر والذين اكتشفت هوياتهم وعناوينهم تهديدات أجبرتهم على الرحيل من مصر خوفًا على حياتهم.

كانت هذه أول مرة يوجه فيها الموساد كامل قدراته وعتاده إلى مهمة واحدة انتهت بالنجاح، وبعدها مباشرة تأسست وحدة في الموساد تسمى Caesarea، كانت خليطًا من أعضاء الوحدة ١٨٨ من الاستخبارات العسكرية ذات الخبرة، ووحدة Mifratz المختصة بالاغتيالات، كانت مهمة Caesarea هي جمع المعلومات المتعلقة بالاغتيالات من الدول الخارجية سواء من السفارات أو من غيرها.



مـــادة حصريـــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (١٤)

من مؤسسي
الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

بايعت الشيخ عبد الله السماوي بعد أول خطبة سمعتها له

ضابط أمن الدولة في الجامعة يتنكر في صفة طالب وعضو بالجماعة الدينية بالجامعة!
كان الشيخ عبد الله السماوي لنا مثلما كان الشيخ حازم أبو إسماعيل لكم!
لم يكن للجماعة الدينية نشاط في الجامعة، اللهم إلا صلاة الجماعة!

لقراءة الحلقات السابقة:

- الحلقة السادسة: قصتـــي مـــع التصـــوف
- الحلقة السابعة : قصـــة ثـــورة فـــي المدرســـة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
- الحلقة التاسعة: كنا البديل لما لا يعجبنا
- الحلقة العاشرة: أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عند أول عقبة
- الحلقة الحادية عشر : هكذا شاهد جيلنا حرب أكتوبر وانكسرت أحلامه في التحرير
- الحلقة الثانية عشر : بعد حوار دافعت فيه عن الشريعة الإسلامية انضممت للتيار اليساري
- الحلقة الثالثة عشر : قصتي مع اليسار في الجامعة

وأما تعرفي على الجماعات الدينية في الجامعة فقد كان اجتهادًا مني، وكان البحث عنهم أمـرًا يغلب عليه الظن لا اليقين، أو كما يسمونه الاجتهاد الغالب، لقد كانت هـذه المجموعات الدينية كما يبدو تابعة للجامعة أو لأمن الدولة، أو لا بد أن يكون بعض عناصرهم على الأقل موجودًا في هذه المجموعات الـديـنـيـة لسبب مـا، ولست أدري على وجـه اليقين الآن ما إن كانت الفكرة الرائجة يومها أن الجماعات الدينية مُشَكَّلة أصـلا بيد إدارة الجامعة أو الأمن، أم أنها تتشكل لكن لا بد أن تكون مخترقة أو مُوجَهَّة بيد هؤلاء؟!



وقد كنتُ ذكرتُ أن هذه المجموعة الدينية كانت يغلب عليها النمط الصوفي، وهو اتجاه لا مشكلة عنده في التعامل المباشر المفتوح مع إدارة الجامعة أو أجهزة أمن الدولة، بل إني تعرفت على ضابط مهم في أمن الدولة من خلال هذه المجموعات، كان اسمه الحركي: عادل، وقد اكتشفت أنه ضابط فيما بعد، أتذكره جيدًا كان يربي مقدمة لحيته (نسميها في مصر: سكسوكة) وكان يأتي إلى الجامعة كأنه طالب في كلية التجارة، وأتذكر نقاشًا جرى بيننا بشأن وقف الحرب أو السلام الذي يروج له السادات، وقد كنا ساعتئذ نهاجم هذا السلام ونهاجم السادات أيضًا، وكان أصل النقاش قد ابتدأ بينه وبين أحمد كمال، وأحمد كمال هذا زعيم طلابي يساري مشهور وقتها، ومن كان في مثل سني الآن فهو يتذكره قطعًا إذ كان واسع الشهرة في ذلك الوقت، وقد احتد الجدل بينهما حتى تحول إلى تبادل الشتائم، ثم ما لبث أن صاح فيه أحمد كمال: من أنت أصلًا؟ أخرج لي هويتك؟ أغلب الظن أنك ضابط أمن دولة أو ما شابه..

ولما انتهى الحوار بينهما قلت لأحمد كمال: كلامك غير منطقي، كيف تتهم زميلنا الطالب بأنه ضابط أمن دولة؟! فأشار إلي إشارة من يريد إسكاتي وفي عينيه نظرة رثاء لسذاجتي وقال: اسكت.. اسكت يا حاج! (وكلمة "حاج" في هذا الموقف تعبير عن التدين الساذج).



لكن لم يلبث أن صحَّت فراسة أحمد كمال (أو صحَّت معلوماته) إذ ما هي إلا أسابيع أو أشهر إلا وأُخِذْت مع مجموعة اليساريين إلى أمن الدولة، ولا أتذكر الآن ما السبب الذي لأجله جرى اقتيادنا، لكني أذكر أني وجدت هذا الضابط هناك، وبادرني بالقول: كيف حالك يا رفاعي؟! أنت رجل طيب!

فسألته: إذ إنك ضابط أمن دولة فما حكاية عادل هذه؟ فضحك وقال: ها أنت قد عرفت الحكاية! بل ورأيتها رأي العين!

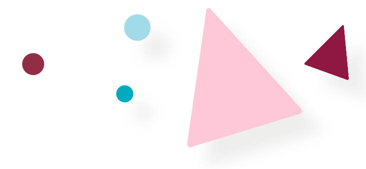
واكتشفت في تلك الزيارة أنه ذو ثلاثة أوجه، وجه الطالب في كلية التجارة، ووجه عنصر الجماعة الدينية الصوفي الطيب الذي يراقبها ويتابعها ويوجهها، ووجه الطالب المشاكس للتيار اليساري في الجامعة.



الشيخ عبدالله السماوي

اقتصر النشاط مع الجماعة الدينية على مجرد الصلاة جماعة، والتعارف فيما بيننا، لم يكن ثمة نشاط يُذكر، فليس ثمة رحلات أو نزهات أو حتى جلسات قرآن أو طلب علم، وكنت بطبعي نافرًا من نشاط الرحلات هذا، ولقد قضيت السنوات الخمس في الجامعة فلم أخرج إلا مرة واحدة في رحلة، وإنما غاية ما قد يُسَمَّى نشاطًا أن ننظم معرضًا للكتاب في الجامعة، نأتي بكتب إسلامية ونبيعها، وما سوى ذلك خمول.

لكن الذي استهواني أولئك الوافدون على الجامعة مثل الشيخ عبد الله السماوي.. ولهذا قصة!



ذات يوم في الإجازة بين السنة الأولى والثانية نَظَّم اتحاد الطلاب في كلية التربية بجامعة أسوان معسكرًا طلابيًا في الصيف، مثله مثل سائر المعسكرات التي توسعنا فيها فيما بعد، تكون فعالياتها أنشطة تربوية، الصلاة والصيام ودروس يلقيها بعض المشايخ الذين يأتون بهم إلينا، وفي هذا المعسكر تعرفت على طالب معنا في كلية التجارة جامعة أسيوط، اسمه عبد التواب طه أحمد وكان هو من أسوان، واندهشت لأنه معي في الكلية ولست أعرفه ثم اتضح أنه كان يسبقني بسنة.

وفيما نحن في التعارف قلت له: أنا صوفي. فتجهم قليلًا وقال: لا، دعك من الصوفيين، إنهم سيئون.

ثم تعرفت في نفس هذا المعسكر على أخويْن آخريْن سيفيدان كثيرًا فيما بعد في العمل الإسلامي، الأول: أبو بكر محيي الدين بلال، والثاني: أحمد الزيات، وهذا الأخير هو أخو منتصر الزيات (المحامي الإسلامي المعروف)، والأول نسيبهما، وهكذا ابتدأت علاقة ستتطور بيني وبين هؤلاء الثلاثة من ذلك الوقت.

حين ابتدأت السنة الثانية وعدت إلى أسيوط، بدأت أصلي في مسجد الجمعية الشرعية، ولم أتذكر أو أفكر في أن ألقى عبد التواب، ولكني في هذه الجمعة وجدت على المنبر خطيبًا جديدًا، طويلًا جسيمًا، أبيض ذا شعر أسود جميل ولحية سوداء جميلة، وثيابه بيضاء جميلة، وكان خطيبًا مفوهًا، أذكر من خطبته تلك قوله: تقولون نأكل عيشنا؟! ألا فلتأكلوا برسيمًا!



فتعجبت منه، أعجبني أولًا شكله ثم خطابته وأسلوبه، وما إن انتهت الصلاة وجلس حتى تحلق حوله بعض الشباب، فذهبت إلى هذه الحلقة فإذا بي أجد فيها عبد التواب طه رفيق المعسكر في أسوان! فسَلّم علي بحرارة فسألته: هل تعرف هذا الشيخ؟

فقال: أعرفه وأعرف كذا وكذا، ثم أخذني من يدي فسلّمنا عليه وعرفني به، ثم قال: لا بد أن تأتي هنا عصر اليوم، سنكون معًا في بيت أخ طبيب يجتمعون في بيته، وسأذهب معهم، وقد كان، وفي هذا المنزل وهذا اللقاء بايعتُ الشيخ عبد الله السماوي!



كان الشيخ في ذلك الوقت شابًا نشِطا لا يزيد عمره عن الثلاثينات أو حتى في أواخر العشرينات، كان قويًا شديدًا صلبًا، وكان شاعرًا متميزًا لا يشق له غبار، وكان خطيبًا فصيحًا مفوهًا آسرًا، أقوى ما يميزه قوة شخصيته التي تأسر سامعه، فلو أني أردت أن أقربه لك لقلت: كان الشيخ السماوي لنا مثلما كان الشيخ حازم أبو إسماعيل لكم!

كنا منبهرين به، ملتفين حوله، وقد كان دائب الحركة واسع النشاط دائم التجوال على كل جامعات مصر تقريبًا، يدعو فيها إلى الله، فما هو إلا أن يرتب له بعض الطلاب حتى يحضر ويحاضر، سواء أكانت الدعوة من اتحاد الطلاب أو الطلاب النشطين، وكانت الجامعة يومذاك في حرية تسمح للطلاب باستقدام واستضافة المشايخ، فما هو إلا أن تُكَوِّن أسرة وباسمها تستقدم الشيخ، ولم تكن ثمة قيود كما صار فيما بعد.

فمن هاهنا صرت واحدًا من مجموعة الشيخ عبد الله السماوي، بايعته ثم كنت عضوًا فاعلًا في هذه المجموعة، ولم يحتج الأمر مني إلا هذه الخطبة الأولى وهذا الزمن بين صلاة الجمعة وصلاة العصر حتى أنتقل من كوني أجهله تمامًا إلى بذل البيعة له!

لقد كانت خطبة جليلة مؤثرة، كان يخطب في مسألة الدولة والمقاومة، لماذا الخوف؟ لماذا يقول الناس: نخاف لنأكل العيش؟ ما أشبه هذا بحال البهائم إلا أن البهائم تأكل البرسيم، بل إن هذه المرتبة أحط من مرتبة البهيمة إذ ليس مطلوبًا من البهيمة فوق أنها مسخرة للخدمة، أما الإنسان فمؤهل لما هو فوق ذلك ومُكَلَّف بما هو فوق ذلك، وتلا قوله تعالى {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}، وكيف نخشى الناس ونخشى أعداء الله والله أحق أن نخشاه، وهو الذي يجب أن نتوكل عليه ونعتصم به.. وهكذا!

لمست هذه الخطبة قلبي، قد كانت مثل هذه المعاني قديمة الرقاد في قلبي كما حكيت سابقًا عن مرحلة الثانوية وأحببت هذا الأسلوب، شعرت به يعبر عما في نفسي، إنني أريد قول هذه المعاني لكن لا أستطيع التعبير عنها في ألفاظ، نعم، لماذا لا يثور الناس؟ لماذا لا يُغيرون ما هم فيه؟ لم الناس هكذا وهكذا... إلخ!

ويمكن أن نمدّ الخط على استقامته، إذا نشدنا التغيير فلا بد من جماعة بل وجماعة قوية، ولكي تكون الجماعة قوية فلا بد لها من بيعة، بيعة كالتي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم من الأصحاب ومن الأنصار، ولما كان ميثاق البيعة قويًّا كان هذا سر قوة هذه الجماعة وسر بسالتها ومقاومتها الظلم والاستعباد، وهكذا دخلنا في المجموعة!

إلا أننا ما لبثنا أن خرجنا منها.. أما لماذا؟ فهذا ما نتركه للحلقة القادمة إن شاء الله.



عمليات الاستهداف عالي القيمة

مفهومها ومحدداتها

م. أحمد مولانا

يكثر في تصريحات المتحدثين والخبراء العسكريين الأجانب، ومؤخرًا التحالف العربي في اليمن، استخدام مصطلح (عمليات الاستهداف عالي القيمة)، في سياق الحديث عن استهداف قيادات أو كوادر الجماعات المسلحة، مثل الحوثيين أو حركة الشباب الصومالية وما شابه.

فما معنى ذلك المصطلح؟ وما هي محددات تنفيذ تلك العمليات؟

عمليات الاستهداف عالي القيمة: هي عمليات مركزة ضد أفراد أو شبكات معينة يجب أن تؤدي إزالتها أو تهميشها إلى تقويض فاعلية مجموعة المتمردين على نحو ملحوظ.

وقد تصاعد الاهتمام بتلك العمليات مع استلام أوباما لمنصبه الرئاسي مطلع عام **٢٠٠٩** ، إذ حرص على تجنب التورط في عمليات عسكرية كبيرة. واستعاض عن ذلك بالتوسع في عمليات الاستهداف عالي القيمة حتى بلغ معدل من قتلوا في تلك العمليات خلال الفترة الممتدة من **٢٠٠٩** إلى **٢٠١٤** قرابة **٣٦٠٠** شخص عبر أنحاء العالم. وبالأخص في باكستان وأفغانستان.

وفي يوليو **٢٠٠٩** أعدت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية دراسة سرية بعنوان (جعل عمليات الاستهداف عالي القيمة أداة فعالة في مكافحة التمرد)، ضمن سلسلة دراسات بعنوان (أفضل أساليب مكافحة التمرد). واستندت معظم مصادر معلومات الدراسة إلى: التقارير السرية، وتقارير الملحقين العسكريين الأميركيين، وكذلك للنقاشات مع العاملين بعمليات الاستهداف، وأيضًا الدارسات التي تمولها وكالة المخابرات المركزية حول عمليات الاستهداف عالي القيمة في مجال مكافحة التمرد، بالإضافة الى المراجعة لدراسات حالة جارية وتاريخية، وهدفت إلى نقل الدروس المستفادة، وتوفير إطار لتقييم الفائدة الاستراتيجية لعمليات الاستهداف عالي القيمة، ومساعدة واضعي السياسات، والضباط العسكريين المشاركين في تفويض أو تخطيط عمليات الاستهداف عالي القيمة.



صُنفت تلك الوثيقة داخل السي آي إيه تحت بند (سرى/ لغير الأجانب). وخُصصت للاستخدام الداخلي لمراجعة الآثار الإيجابية والسلبية للاغتيالات التي تستهدف كوادر المجموعات المتمردة، ومدى تأثيرها على قوة تلك المجموعات عقب تعرضها للهجوم. وقد قيمت الوثيقة الهجمات على مجموعات التمرد من قبل الولايات المتحدة وحكومات أخرى في أفغانستان والجزائر والعراق وفلسطين المحتلة وإيرلندا الشمالية وسريلانكا والشيشان وليبيا وباكستان وتايلاند وبيرو.

وقد نشر موقع ويكليكس الوثيقة في عام ٢٠١٤ ، وشاركت في ترجمتها للعربية في عام ٢٠١٨ . ونظرًا لأهميتها سأستعرض أهم المحددات التي أوردتها الدراسة، وبناء عليها يتخذ قرار تنفيذ عملية تصفية أو اعتقال أحد الكوادر رفيعي القيمة.

العوامل التي تصيغ إسهام عمليات الاستهداف عالي القيمة في مخرجات مكافحة التمرد:

إن خصائص المجموعة المتمردة مثل: الهيكل التنظيمي، والعوامل الحكومية كمستوى فاعلية الأدوات العسكرية وغير العسكرية لمكافحة التمرد، تصيغ مدى تأثر المجموعة المتمردة بخسارة قادتها، وفقًا لتقييم عمليات الاستهداف عالي القيمة عبر أنحاء العالم.



إن خصائص المجموعة المتمردة مثل: الهيكل التنظيمي، والعوامل الحكومية كمستوى فاعلية الأدوات العسكرية وغير العسكرية لمكافحة التمرد، تصيغ مدى تأثر المجموعة المتمردة بخسارة قادتها، وفقًا لتقييم عمليات الاستهداف عالي القيمة عبر أنحاء العالم.

(أ) عوامل مجموعة المتمردين

١ الهيكل المجموعات مركزية الهيكل والمقادة بشكل شخصي هي الأكثر عرضة للتأثر بالخسائر في القادة. بينما المنظمات ذات الهياكل اللامركزية، مثل حماس، عادة ما يكون لديها قدرة أكبر على التكيف وتجديد نفسها بعد تعرضها لخسائر من عمليات الاستهداف عالي القيمة. وتأتي أهمية القادة الفعالين من امتلاكهم لتوليفة نادرة من المبادرة، والكاريزما، والرؤية الاستراتيجية، ومهارات الاتصال.

فعلى سبيل المثال يتكون الهيكل العسكري الطالباني من مزيج من نظام هرمي تصدُر فيه الأوامر من أعلى الى أسفل مع نظام قبلي أفغاني قائم على المساواة وينقاد للرأي الجماعي، مما يجعل حركة طالبان أكثر قدرة على تحمل ضربات الاستهداف عالي القيمة.

وكما هو حال شبكات القاعدة خارج العراق، قام تنظيم القاعدة بالعراق في أواخر ٢٠٠٨ بتفويض السيطرة العملياتية في الأمور الهامة إلى قادة محليين، وهي ممارسة سمحت للقاعدة حتى أوائل ٢٠٠٧ ، بالتكيف مع الفقد في القيادة مثلما حدث مع مقتل أبي مصعب الزرقاوي، وفقًا لتقارير سرية أميركية.

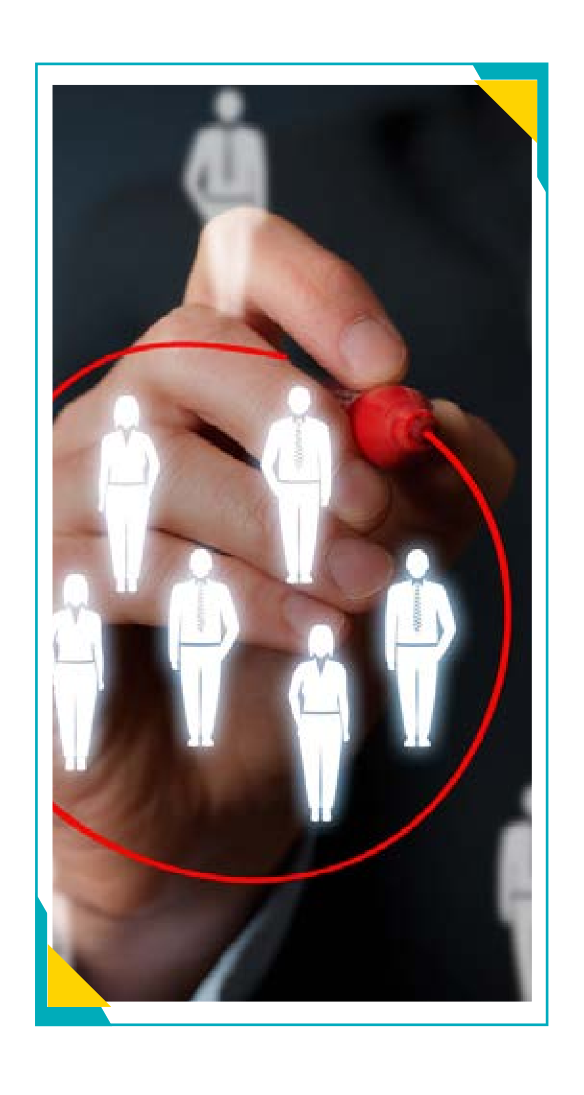


لم يتمكن تنظيم (الدرب المضيء) في بيرو، والذى كان يعتمد بقوة على المركزية وتقديس الأشخاص من التعافي بعد أسر مؤسسه "أبيمال جوزمان" عام ١٩٩٢ هو ومعظم كبار قادة الجماعة.

٢ التخطيط للاستخلاف وثقل البدلاء

إن تخطيط مجموعات المتمردين لاستخلاف قادتها، واتساع وعمق الكفاءة العسكرية والسياسية، والقدرة على الارتقاء وتصعيد القادة الواعدين وفقًا لمهاراتهم، هي أمور تسهم في صمود المتمردين أمام عمليات الاستهداف.

٣ مستوى الظهور



ربما يسفر الفقد في القيادة عن تأثيرات مختلفة في حالة التنظيمات التي تضع في استراتيجيتها وجهًا عامًا شعبيًا عن التنظيمات شديدة السرية. ففقدان الشخصيات العامة الظاهرة له تداعيات نفسية أوسع من فقدان القادة غير الظاهرين.

وبما أن حزب الله وحماس يقومان بوظائف تقوم بها الـدول، مثل توفير خدمات الرعاية الصحية، فإن قادة هذه الجماعات لديهم حضور عام بارز، بينما قادة الجماعات السرية قد لا يشعر الجمهور بوجودهم بشكل كبير، نظرًا لمحدودية الدور الذي يؤدونه في الحكم الموازي .

٤ مرحلة دورة الحياة

فمجموعات التمرد مثل غيرها من المنظمات، تكون أكثر هشاشة واعتمادًا على عدد محدود من الأفراد أثناء مرحلة التكوين- أو أثناء المراحل المتأخرة من دورة حياتها عندما تكون في حالة تراجع - أكثر مما تكون في وسط مرحلة نضوجها.

٥ القضية والدعم الشعبي

يمكن لقضية المتمردين الموحدة، وروابطهم العميقة مع أنصارهم أو لقاعدة الدعم واسعة النطاق، أن تقلل من تأثير فقد القيادة عن طريق ضمان استمرار تدفق المجندين البدلاء.

فطبيعة حركة حماس الانضباطية، وشبكات الخدمة الاجتماعية، والاحتفاظ بقادة لهم تقديرهم، سمح للحركة بإعادة تنظيم صفوفها، عقب مقتل القياديين الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي عام ٢٠٠٤ وفقًا لمجموعة الأزمات الدولية[١].



(١) مجموعة الأزمات الدولية، "داخل حماس: تحديات التكامل السياسي"، الشرق الأوسط، تقرير رقم (٤٩)، ١٨ يناير ٢٠٠٦ .

٦ وجود ملاذ آمن

غالباً ما توفر الملاذات الآمنة الداخلية والخارجية مزايا كبيرة للجماعات المتمردة، فهي تسمح أحيانًا لقائد المجموعة بالتملص من القوات الحكومية لعقود من الزمن. وإن الضربات ضد ملاجئ لم يكن متاحًا اختراقها في السابق، يمكن أن تؤدي إلى تأثيرات حادة مثل إضعاف معنويات القادة المتبقين.

وقد وفرت إيران ملاذًا آمنًا منح لمقاتلي التيار الصدري العراقي الفرصة للتدريب، وإعادة التسليح، والتعافي، والتهرب من الأسر وفقًا لتقارير عسكرية وسرية أمريكية.

وفى جنوب تايلاند مثل الفقد المؤقت للملاذ الماليزي التقليدي عاملًا رئيسيًّا في انهيار الذراع المسلح لحركة (المنظمة المتحدة لتحرير فطاني) في ذلك الحين، وفقًا للسفارة الأمريكية في بانكوك.

(ب) العوامل الحكومية

١ مدة وكثافة عمليات الاستهداف عالي القيمة

يمكن لعمليات (الاستهداف عالي القيمة) الواسعة والمطولة أن تحدث تدهورًا كبيرا للتمرد، وذلك عندما يتجاوز الضغط العسكري قدرة المجموعة على استبدال القادة. في حين أن حملات الاستهداف القصيرة أو غير المتسقة قد تؤدي الى التخلص من المسلحين الأقل وعيًا بالأمن أو من ليسوا على درجة كبيرة من القيمة بينما يبقى الأشخاص الأكثر موهبة.



ففي يونيه ٢٠٠٦ بالعراق لم يؤد مقتل أبي مصعب الزرقاوي إلى انخفاض فوري في هجمات القاعدة، لكن تأثير الضربة على وعى السنة ربما ساعد حركة الصحوة على أن تصبح قوة قابلة للحياة في منتصف ٢٠٠٦ وفقًا لخبير أكاديمي بمكافحة التمرد.



٢ اختيار طريقة الاستهداف عالي القيمة

يمكن للحكومات استخدام متغيرات مثل الثقافة، واحتمال وقوع أضرار جانبية، لتقييم ما إذا كانت التأثيرات المرغوبة من عمليات الاستهداف ستتحقق بشكل أفضل من خلال القبض على قادة المتمردين، عبر استخدام العمليات النفسية لتهميشهم، أم من خلال استهدافهم بضربات قوية. وتعمل الاعتقالات على نزع السمعة الأسطورية لقادة التمرد في نظر الشعب، وربما تكون أفضل أثرًا نظرًا لأهمية استجواب قادة المتمردين.



قيامة طالبان

كرم الحفيان

مقدمة

تحدثنا في المقال السابق عن جذور طالبان الفكرية والاجتماعية والتنظيمية، ووصلنا إلى نقطة انسحاب السوفييت ثم إسقاط الحكومة الشيوعية العميلة، وما أتبع ذلك من تأسيس الأحزاب الحركية الألمع نجماً وقتها لـ"حكومة المجاهدين" ١٩٩٢ م، ورفضها الاقتراح الأمريكي بعودة ملك أفغانستان السابق ظاهر شاه وتشكيل حكومة ائتلافية موسعة، تضم الإسلاميين (قادة الجهاد) والشيوعيين (النظام السابق) والتكنوقراط (أفغان الغرب).

بيد أنه نتيجةً للخلاف الحاد داخل أروقة الحكومة الوليدة، ونشوب صراع دامٍ بين أجنحتها راح ضحيته عشرات الآلاف من المدنيين، وتخلله استعانة كل جناح بقسم من فلول النظام السابق والأحزاب الشيوعية، وتقسيم المدن والمحافظات لمناطق نفوذ متصارعة بينها ما يشبه الحدود، وفوضى عارمة و"بلطجة" واعتداءات شبه يومية على أموال ودماء وأحياناً أعراض المدنيين من حواجز جمع الإتاوات المنتشرة في الطرق العامة.

هنا أطلت الأمم المتحدة بمشروعها "لإنقاذ" أفغانستان من خلال العمل على تجهيز جيش أفغاني قوامه ٨٠,٠٠٠ جندي، براتب ثلاثمائة دولار شهرياً (مبلغ مرتفع جداً بالنظر للحالة الأفغانية حينها) للإطاحة بالحكومة الحالية واستجلاب الملك العجوز ظاهر شاه (المرغوب فيه والتابع أمريكياً) كحاكم مخلص وعنوان للأمن والأمان.



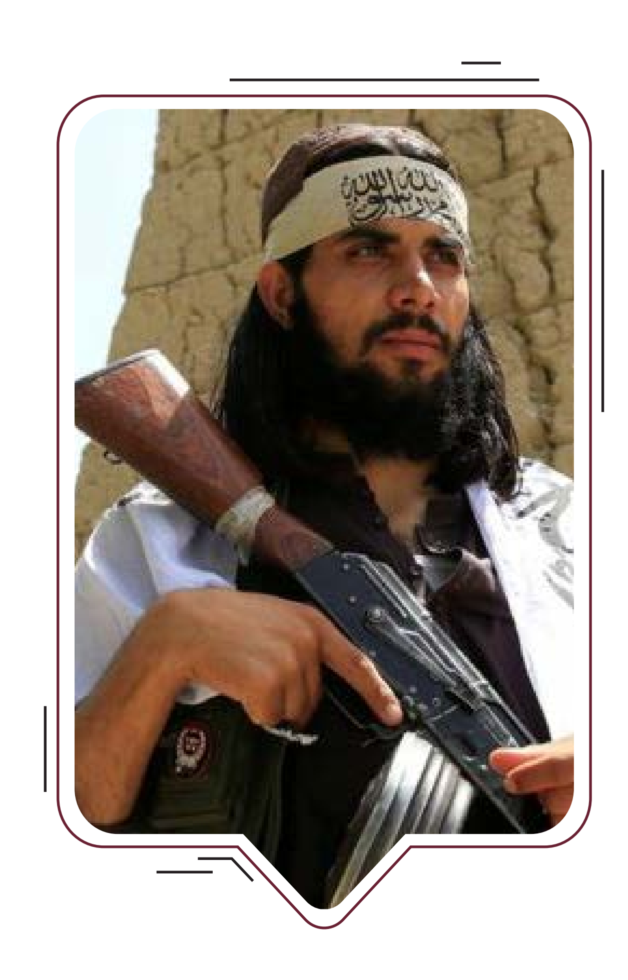
سبب الرغبة الدولية والأمريكية في ظاهر شاه هو نشره للقيم الغربية أثناء فترة حكمه من **١٩٣٣** إلى **١٩٧٣** م (قبل أن ينقلب الشيوعيون عليه)، إضافةً إلى توجه "حكومة المجاهدين" لبناء علاقات قوية مع إيران.

أيضاً، الجارة الأهم باكستان كانت ترغب في الإطاحة بالحكومة التي تحالفت مع عدوها التاريخي والجغرافي والإستراتيجي الأكبر: الهند، مما شكل تهديداً كبيراً لأمنها ومصالحها الوطنية والقومية.

في هذه اللحظة الفارقة من تاريخ أفغانستان المعاصر نهاية خريف **١٩٩٤م** ، أنهى العشرات من طالبان اجتماعهم في المسجد الأبيض في منطقة سانجيسار بمحافظة قندهار، وقرروا حشد ما يستطيعون من طلاب العلم لإزالة حواجز السلب والنهب ومطاردة المجرمين وإيقاف الاقتتال بين مكونات الحكومة، بعد إدراكهم أن واجبهم الديني (بعد طرد الاحتلال) لا يقتصرعلى تعلم وتعليم العلوم الشرعية، وأنه لا بد من التفاعل مع قضايا وأحوال المجتمع.

من هنا بدأ التحول في نفسية وأداء طالبان.

تحرُّك مجموعة طالبان الأولى بقيادة الملا عمر كان شديد العفوية والمحلية (قندهار فقط) وحمل طابعاً اجتماعياً لا سياسياً، ففكرة السيطرة على الحكم لم تكن في الحسبان (وهـذا يتناغم مع طبيعة تيارهم المشيخي)، إلا أن انضمام الكثير من طالبان من شتى المحافظات للحراك ونجاحهم السريع في جلب الأمن وتأسيس قضاء قوي في كامل قندهار خلال شهرين فقط، وعدم اصطلاح أجنحة الحكومة المتقاتلة، دفع وجهاء المدن المجاورة لطلب تدخل طالبان وقد كان.



سنة وخمسة أشهر كانت المدة الكافية لتبسط طالبان سيطرتها على غالب الأرض الأفغانية، وتصل لمشارف العاصمة كابول في **٣** أبريل **١٩٩٦** م، ليتحول مشروعها من حفظ أمن المجتمع إلى إقامة حكومة إسلامية تطبق الشريعة وتخلو من الشيوعيين (الذين استلموا مناصب قيادية في الآونة الأخيرة حينها).

الجدير بالذكر أن الخطوط العامة لتحركات وتحولات طالبان الميدانية والسياسية ومنذ البداية كانت تتم بتوجيه وفتاوى العلماء، وقد بايع حشدٌ كبيرٌ منهم ومن الدعاة والخطباء (بلغ عددهم **١٥٠٠**) الملا عمر زعيم حركة طالبان حاكماً على البلاد في التاريخ المذكور أعلاه، ومنذ تلك اللحظة أصبحت طالبان وما تزال الكيان الأقوى داخل أفغانستان على مختلف الأصعدة السياسية والعسكرية والشعبية، رغم تعرضها لحرب طاحنة من أمريكا وحلفائها.



ولكن السؤال المركزي في هذا المقال:



كيف استطاعت حركة طلبة العلوم الشرعية طالبان في هذه الفترة الوجيزة السيطرة على مساحة تبلغ مئات الآلاف من الكيلومترات؟



المهووسون بنظرية المؤامرة وتحكم الماسونية العالمية بكل حركة وسكنة وثورة تحدث بهذه الكرة الأرضية، يرجعون الأمر لمخطط أُعد مسبقاً ونُفذ بنجاح كالعادة!

ولكن بالنظر إلى الأسباب الموضوعية ومحاولة تحليل وتفكيك المشهد آنذاك، تتضح لنا مجموعة من العوامل أدت في النهاية لقيامة طالبان وبقائها إلى تاريخ كتابة هذه السطور: مايو ٢٠١٩ م.

أولاً: العوامل الداخلية

(١) العامل الديني ويتمثل بعنصرين هامين:

أ الطاقة الروحية الهائلة التي انطلقت بها حركة طالبان، المؤلفة من أشخاص ليسوا فقط متدينين إنما طلبة علوم دينية.

ب الشرعية الدينية التي حصلت عليها الحركة ومنذ انطلاقتها بمباركة وتأييد عدد كبير من العلماء الأفغان.

(٢) العامل الإداري: ويتمثل بالقيادة الموحدة المطاعة، ويرجع هذا إلى:

أ أن قادة الحركة هم من الشخصيات: المحلية المعروفة لقطاعات وجنود الحركة، وغير "المحروقة" بشبهات سابقة أو شهوة سلطة.

ب انتماء قادة الحركة للمرجعية الإسلامية الحنفية، التي تشكل التيار العام المهيمن داخل الحركة وعند الشعب الأفغاني عموماً.



(٢) العامل الاجتماعي وله شقان هامان:

أ لـم تكتفِ الحركـة بالرابط الديني فـي تكوينهـا الأساسي، بل أضافت له العصب العرقي (البشتوني) الذي ينتمي له القادة المؤسسون ويشغل المنتمون له جل مفاصل الحركة.

ب القضية المحورية والشعار الأول الذي أطلقته الحركة فور تأسيسها كان محاربة مَن أجمع المجتمع على إجرامهم وانتهاكهم لحقوقهم، مما أكسب طالبان شعبية جارفة في أشهر معدودة لملامسته الهموم اليومية لعموم الشعب.

ثانياً: العوامل الخارجية

(١) الدعم الباكستاني الكبير رسمياً وشعبياً، فالحكومة الباكستانية شعرت بأنها طُعنت في عمقها الأفغاني بتحالف "حكومة المجاهدين" مع الهند وإيران، فقدمت دعماً غزيراً لطالبان وفتحت حدودها على مصراعيها للأعداد الكبيرة الراغبة في الالتحاق بطالبان من طلبة المدارس الدينية الديوبندية، إضافةً إلى دعم وتعاطف الوسط العلمي المشيخي الباكستاني وقبائل البشتون الباكستانية مع طالبان.

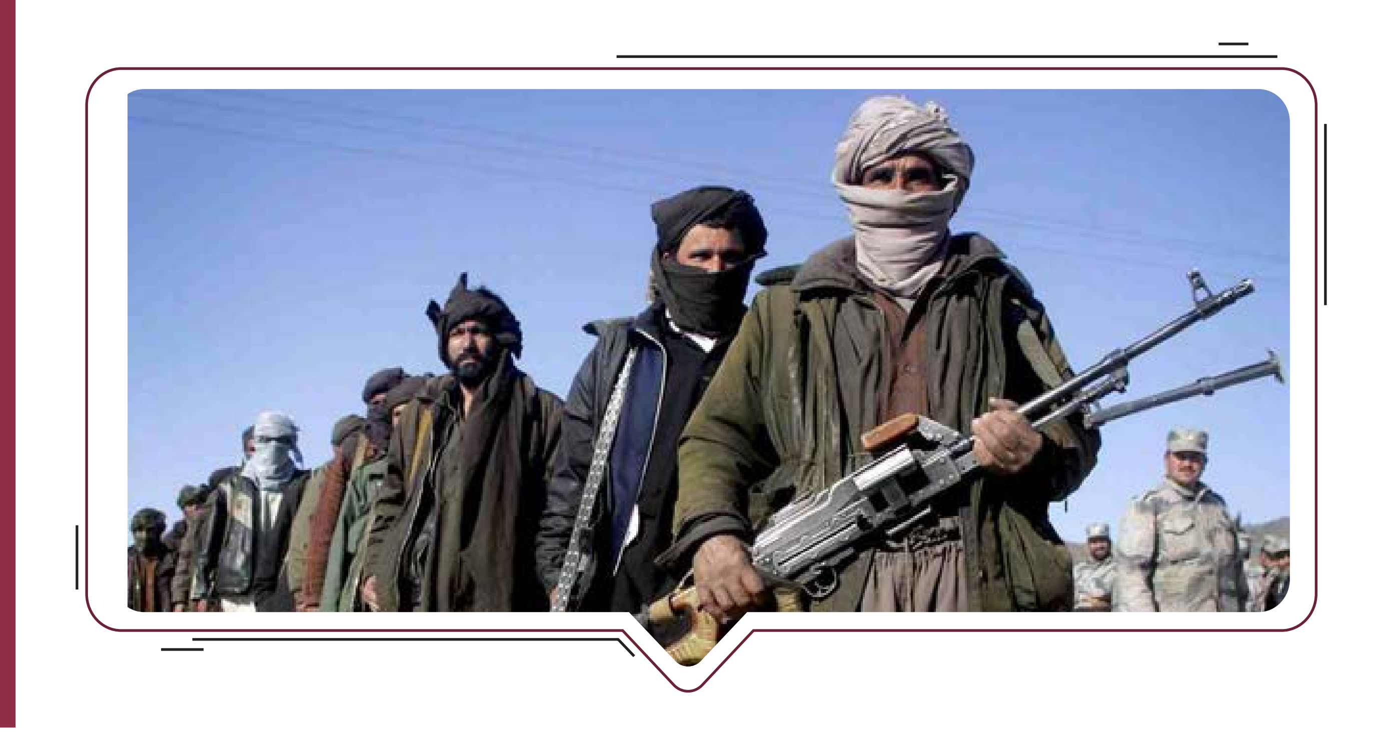


(٢) الغموض الطالباني والترقب الأمريكي

مع تقدم طالبان على الأرض، دأبت الآلة الإعلامية الأمريكية على الترويج لمعلومة مفادها قبول طالبان بعودة ظاهر شاه للحكم في حال سيطرت على كابول (وهذه المعلومة أشرنا لطرفها الأول في المقالة السابقة، حين رفضت الأحزاب الحركية عودة ظاهر شاه كفترة انتقالية بعد السوفييت فيما وافقت الأحزاب المشيخية "مظلة طالبان").

لم تعلق طالبان، ولم تفصح عن رفضها إلا بعد أن رجحت كفتها العسكرية، وبنت شعبية كبيرة، وثبتت تحالفاً استراتيجياً مع باكستان. الأمر الذي دفع مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية للتعبيرعن استيائها الشديد.

(٣) جوانب من خلفيات طالبان القائمة على "التشدد الاجتماعي" و"التواضع الفكري" و"التحفظ السياسي"، دفعت الكثير من الدول الشرقية والغربية إلى اعتقاد سهولة احتوائها وتوظيفها في نموذج مشابه للحالة السعودية، الأمر الذي قلل خصومها الخارجيين، وأعطاها فرصة لترتيب بيتها الداخلي وقد كان.



خاتمة

إذن فقيامة حركة طالبان كانت من باطن الأرض الأفغانية أرضاً وفكراً وفكرةً، وكانت أشبه بثورة شعبية فجرها وقادها طلبة العلوم الشرعية كردة فعل على حالة الفوضى والاقتتال الداخلي وانعدام الأمن الذي وصلت له أفغانستان في المرحلة السابقة. الحركة بدأت عفوية (بمباركة العلماء) ثم نظمت نفسها وحشدت أنصارها وشدت عصبها (بعرقها البشتوني) وكسبت حاضنتها (بحلها لأكبرمشاكل الشعب: الأمن) وعززت شرعيتها بتأييد العلماء ووجهاء المجتمع المتواصل لها، ثم جاء دور المدد الباكستاني الذي كان بحاجة لاسترداد عمقه الأفغاني بعد أن أدارت له "حكومة المجاهدين" ظهرها وتحالفت مع عدوتها الإستراتيجية الهند وعدوتها الأخرى إيران.



وأخيراً وليس آخراً لعبت جوانب "التشدد الاجتماعي" و"التواضع الفكري" و"التحفظ السياسي سابقاً" في فكر طالبان، إضافةً إلى حالة غموض الهدف السياسي التي تعاملت بها (أثناء سعيها الوصول لكابول) مع أمريكا في مسألة قبولها بعودة ظاهر شاه (رجل الغرب) للحكم، دوراً بالغ الأهمية في كسب الوقت وتحييد ما أمكن من أعداء ومؤامرات ريثما يتم لها الأمر وقد كان.

أما عن ملامح المشروع السياسي لطالبان بعد وصولها للحكم فللحديث بقية في العدد القادم بإذنه تعالى.



محمود جمال

مصر :

سياسات التسليح العسكري ٢٠١٨

على الرغم من الأزمة الاقتصادية التي تمر بها مصر والتي تفاقمت بعد الثالث من يوليو ٢٠١٣ ، قامت المؤسسة العسكرية المصرية بإبرام العديد من صفقات السلاح خلال عام ٢٠١٨ م، وتوزعت تلك الصفقات على الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المصرية.

من خلال رصد صفقات التسليح التي أبرمتها القوات المسلحة المصرية خلال عام ٢٠١٨ م، يلاحظ أن القوات الجوية كانت أهم فرع يُدعم بالعديد من الصفقات، ثم القوات البحرية، ثم القوات البرية، ثم قوات الدفاع الجوي، والجدول التالي يوضح عدد الصفقات التي حصل عليها كل سلاح:



السلاح	عدد الصفقات
(١) القوات الجوية	١٦
(٢) القوات البحرية	١٤
(٣) القوات البرية	٨
(٤) قوات الدفاع الجوي	٨



وجاء كل من دولة روسيا الاتحادية ثم فرنسا وألمانيا ثم الولايات المتحدة الأمريكية، على رأس الدول التي قامت المؤسسة العسكرية المصرية بإبرام الصفقات العسكرية معها.

كشفت دراسة أجراها معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام سيبري **SIPRI** عن وجود السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة ضمن قائمة الدول الأكثر استيراداً للأسلحة في العالم بين أعوام **٢٠٠٨ – ٢٠١٢ و٢٠١٣ –٢٠١٧** . وتصدرت الهند ترتيب الدول الأكثر استيراداً للأسلحة الثقيلة، تبعتها السعودية بالمركز الثاني، ثم مصر والإمارات بالمركزين الثالث والرابع. كذلك حلَت قطر في المرتبة العشرين للدول الأكثر استيراداً للأسلحة.

وازداد استيراد الأسلحة بالشرق الأوسط بنسبة ١٠٣ % خلال العشر سنوات الماضية، ليشكل ٣٢ % من حجم الأسلحة المستوردة على مستوى العالم، وأرجع بيتير ويزمان، كبير الباحثين ببرنامج سيبري عن الإنفاق العسكري، ارتفاع تلك النسبة لانتشار "الصراعات المسلحة بالشرق الأوسط مع ازدياد المخاوف بشأن حقوق الإنسان، وهو ما نتج عنه نقاش واسع بأمريكا الشمالية وأوروبا الغربية حول تقييد بيع الأسلحة". واحتلت الولايات المتحدة صدارة الدول المصدرة للأسلحة بنسبة ٣٤ % من إجمالي الأسلحة المصدرة في العالم خلال الفترة ما بين عامي ٢٠١٣ –٢٠١٧ وهي زيادة بنسبة ٢٥ % عن فترة ٢٠٨ - ٢٠١٢.[1]

---

(١) إنفوغرافيك: السعودية ومصر والإمارات ضمن أكبر مستوردي الأسلحة بالعالم، إيرو نيوز، تاريخ النشر ١٣ مارس ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ١٠ يناير ٢٠١٩ م، الرابط



	القيمة الإجمالية	المملكة المتحدة	إسبانيا	إيطاليا	ألمانيا	فرنسا
السعودية	4760	3390	352	226	263	529
مصر	3128		252	17	414	2445
الإمارات	1736	66	294	423	133	820
الهند	1561	583		28	123	827
إندونيسيا	1381	691	107	15	294	274
الولايات المتحدة	1364	256	69	64	638	337
عمان	1355	974	186	19	27	149
كوريا الجنوبية	1318	111			1154	53
اليونان	1152	50		3	959	140
الجزائر	1143	71		354	692	26
تركيا	1081		583	367	108	23
الصين	1039	160			41	838

ذكر موقع ديفنس ويب أن مصر أصبحت ضمن أهم الأسواق لبيع الأسلحة الألمانية، بعد اضطرار القاهرة للتحول بعيدًا عن الولايات المتحدة وشراء أسلحة من مصادر أخرى. وأضاف تقرير الموقع أن "في الأعوام الخمسة الأخيرة، قفزت صادرات الأسلحة الألمانية لمصر بنسبة ٢٠٥ %". وفي عام ٢٠١٧ فقط، وافقت ألمانيا على ٣٥ طلبًا مصريًا لشراء أسلحة ألمانية الصنع وأنظمة دفاعية بقيمة إجمالية ٧٠٨ ملايين يورو (٢).

ونشر موقع "weivdlroW roftartS" تقريرًا أوضح أن قرار الولايات المتحدة بحجب مساعدات عسكرية إلى مصر جعلها تدرك أهمية الحصول على الأسلحة من عدة دول لتجنب "إمكانية أن تصبح رهينة لمطالب الولايات المتحدة". ومع ذلك، فإن التنويع الزائد عن الحد يمكن أن يؤدي إلى الإضرار بكفاءة الجيش من حيث عدم وجود معايير قياسية للأسلحة المستخدمة (٣).



(٢) مصر أصبحت ضمن أهم الأسواق لبيع الأسلحة الألمانية، موقع ديفنس ويب، تاريخ النشر ٣٠ إبريل ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ٢٠ يناير ٢٠١٩ م، الرابط

(٣) المشهد العسكري - أكتوبر ٢٠١٨ ، المعهد المصري للدراسات، الرابط



راعى الجيش المصري في الصفقات التي أبرمها خلال عام ٢٠١٨م، أن تكون الصفقات المبرمة تتضمن بعض الأسلحة الدفاعية والأسلحة الهجومية، فعلى سبيل المثال أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية "بنتاجون" على موقعها الرسمي، عن منح الجيش الأمريكي شركة " لوكهيد مارتن Lockheed Martin في مدينة أورلاندو Orlando بولاية " فلوريدا Florida ، عقداً بقيمة ٢٥.٢ مليون دولار لتزويد مروحيات الأباتشي الهجومية الخاصة بالقوات الجوية المصرية بمنظومات الرصد والتهديف المتطورة" M-TADS/PNVS أو " النظام المطور للتسديد وتحديد وإمساك الهدف/مستشعر الرؤية الليلية للطيار Modernized Target Acquisition Designation Sight/Pilot Night Vision Sensor System بالإضافة إلى قطع الغيار اللازمة. هذا ومن المُقرر أن تنتهي الشركة من تنفيذ العقد بحلول ٣٠ أبريل ٢٠٢٠ [٤].



وبخصوص الأسلحة الهجومية أيضاً الذي حرص الجيش المصري على التعاقد عليها خلال عام ٢٠١٨ م، صرح بهفلاديمير كوجين مساعد الرئيس الروسي للتعاون العسكري التقني، لجريدة كومير سانت Kommersant الاقتصادية الروسية، بأن كلاً من روسيا ومصر وقعتا عقد المروحيات البحرية الهجومية "قرش كلب البحر Ka-52K Katran المُشتقة من مروحيات الهجوم والاستطلاع المُسلّح "التمساح Ka-52 Alligator [٥].

(٤) الأباتشي المصرية تحصل على تطوير جديد لأنظمة الرصد و التهديف، الحدث، تاريخ النشر ٢٩ ديسمبر ٢٠١٧، تاريخ الدخول ١٦ يناير ٢٠١٨ م، الرابط (٥) المشهد العسكري فبراير ٢٠١٨، المعهد المصري للدراسات فبراير ٢٠١٨ ، الرابط

أما بخصوص الأسلحة الدفاعية التي تعاقد عليها الجيش المصري خلال عام ٢٠١٨ م، على سبيل المثال أعلن قسم التعاقدات على الموقع الرسمي لوزارة الدفاع الأمريكية "بنتاجون" عن منحها شركة "رايثيون Raytheon " لأنظمة الصواريخ، عقداً لتزويد كل من مصر، قطر، تركيا، والبحرية الأمريكية بمنظومات صواريخ RIM-116CBlock2 الجيل الثاني من منظومة صواريخ الهيكل الدوّار Rolling Airframe Missile RAM قصيرة المدى المُخصصة لحماية السفن والقطع البحرية من تهديدات الصواريخ المضادة للسفن بشكل رئيسي[٦].

وبالرغم من كثافة الصفقات العسكرية التي أبرمها الجيش المصري خلال عام ٢٠١٨ م، إلا أنه تراجع في التصنيف الأخير لموقع جلوبال فاير باور المتخصص في تصنيف الجيوش من المركز العاشر إلى المركز الثاني عشر[٧].

واعتمدت مؤسسة "Global Fire Power" في تقييمها، على مؤشر القوة الذي يتضمن ٥٠ عاملًا، من بينها التنوع في الأسلحة وتطورها، بالإضافة إلى العوامل الجيوجرافية واللوجستية والصناعة المحلية، والقوى البشرية، وتوفر الوقود للعمليات العسكرية، والاستقرار الاقتصادي للدولة، والميزانية العسكرية لها.



(٦) القوات البحرية المصرية ستحصل على صواريخ الدفاع الجوي قصيرة المدى ١١٦ - RIM من الجيل الثاني، موقع الأمن والدفاع العربي، تاريخ النشر ١٢ مايو ٢٠١٨ م، تاريخ الدخول ١٠ يناير ٢٠١٩ م، الرابط

(٧) التصنيف الأخير لموقع جلوبال فاير باور، الرابط



وكانت من العوامل الأساسية التي أدت إلى تراجع الجيش المصري في التصنيف هي تقلص الحدود الجغرافية للدولة المصرية، وهذا ما ذكره موقع جلوبال فاير باور في أسباب تراجع تصنيف الجيش المصري، ورأي البعض أن تنازل النظام المصري عن جزيرتي تيران وصنافير ذوي الموقع الاستراتيجي لصالح الملكة العربية السعودية هو أحد أسباب ذلك التراجع.

أما العامل الثاني الذي أدى إلى تراجع تصنيف الجيش المصري هو عامل التدريب، وبالرغم أن الجيش المصري قد عقد العديد من الصفقات إلا أنه يعاني من تدريب وتأهيل الفرد المقاتل داخل الجيش المصري؛ لأن الذي يستخدم السلاح هو الفرد المقاتل المدرب، ويوضح ذلك الضعف الفني والقتالي للفرد المقاتل داخل الجيش المصري الخسائر المتعددة في صفوف قوات الجيش المصري المقاتلة، وتحديداً في شمال سيناء علي يد الجماعات المسلحة، مثل ما حدث لفرقة القوات الخاصة في الواحات البحرية في أكتوبر **٢٠١٧** م، عندما قُتلت الفرقة بشكل شبة تام علي يد العشرات من الجماعات المسلحة.

لم تشارك في تلك التدريبات القوات التابعة للجيوش والمناطق العسكرية التي تُعد التشكيلات الأكبر داخل الجيش المصري، وتصنيف الجيوش يكون عبر تقييم التدريبات العسكرية التي تشارك فيها قوات الجيش بتشكيلاتها المختلفة، وليس فقط لوحدات عسكرية مصغرة تقوم بعمليات نوعية وتواجهه قوات غيرنظامية "حرب العصابات".



وهناك احتمالات عدة قد تُقدم تفسيرات لتعدد صفقات التسليح منذ تولي السيسي الحكم في مصر ، إلا أن التفسيرات لن تخرج عن السيناريوهات الآتية:

١ القول بأن القيام بتسليح الجيش المصري بهذا الشكل وفي هذا التوقيت مهم في ظل الوضع الإقليمي المضطرب مع إرادة الجيش المصري كفرض نفسه كلاعب رئيسي لا يمكن تجاوزه، هو تفسير له وجاهته.

٢ القول بأن ما يحدث في سيناء وما تشهده من صراعات بين قوات الجيش المصري وتنظيم "الدولة الإسلامية" الذي تنامت قوته وعدده في الفترة الماضية وتعددت خسائر الجيش المصري في الأفراد والمعدات، هو سبب التوسع في هذه الصفقات. وهذا التفسير أيضًا احتمال له واجهته.



لكن أن يتم الربط بين هذا التسليح بهذا الحجم وهذه المواجهة غير منطقي، لأن معظم هذه الصفقات يغلب عليها الطابع الدفاعي، كما أن بعضها لا يتناسب وبيئة المواجهة في سيناء. ويزيد من الشكوك في دور هذه الصفقات في رفع القدرات القتالية للجيش المصري كونها تحدث بالتنسيق مع الكيان الصهيوني، وبالرغم من أن تلك الصفقات المبرمة ما زال الجيش المصري يعاني من مواجهة المسلحين في سيناء والعملية الشاملة التي قام بها الجيش في ٢٠١٧، والتي كان قرر لها ثلاثة أشهر لتصبح سيناء خاوية من المسلحين لم تنجح الي وقتنا هذا، والمتابع للتطورات الأوضاع في سيناء يلاحظ أن المؤشرات والمعطيات في المواجهات بين الجيش والمسلحين لن تنتهي في القريب العاجل.



٣ الربط بين هذه الصفقات ومشاركة الجيش المصري بتشكيلاته الجوية والبرية في عمليات عسكرية أو الإمداد بتعزيزات عسكرية داخل الأراضي الليبية، والتي سبق أن قامت بها، في إطار الدعم العسكري الذي تقدمه مصر إلى قوات "حفتر" في ليبيا.

٤ الربط بين التسليح وتعزيز دور الجيش في الحد من الهجرة غير الشرعية إلى أوربا، وخصوصًا أن نظام السيسي يجيد عمليات الابتزاز السياسي، ونقل رسالة للغرب مفادها أن مصر تحارب من أجل أوربا التي تعاني من عمليات التهريب والهجرة غير الشرعية، لذلك تعددت التصريحات من الجانب المصري خاصة بضبط وإفشال الكثير من عمليات الهجرة غير الشرعية. ومن الملاحظ أيضاً ان الدول التي تقوم بتسليح مصر في الجانب البحري تقف في مقدمتهم ألمانيا وفرنسا التي ترى أن الهجرة غير الشرعية القادمة من القارة الإفريقية خصوصاً تهدد أمنها القومي.

٥ الربط بين الصفقات التي يقوم بها الجيش المصري وتأمين آبار الغاز الموجودة في منطقة شرق المتوسط، والمتنافس عليها بين كل من اليونان وقبرص وإسرائيل وفلسطين وتركيا وسوريا ومصر، فاكتشافات الغاز المتتالية للدول المطلة على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، ترسم صورة قاتمة لنذر تفجر حروب بين هذه الدول للسيطرة على مناطق الغاز، الذى يعده الكثيرون وقود المستقبل بعد تزايد أهميته في مجالات الحياة المختلفة. ومؤشرات الحرب بدأت بالفعل، إذ تتنازع إسرائيل مع سوريا وتركيا ولبنان وقبرص ومصر وفلسطين المحتلة على الأحقية المشتركة في حقول الغاز المكتشفة حديثًا بشرق البحر المتوسط، ويتمسك كل طرف بموقفه الذي يعززه بأن حدوده البحرية خط أحمر تندرج تحت طائلة السيادة الوطنية.



الربط بين هذه الصفقات ومشاركة الجيش المصري ضمن قوات التحالف التي تقودها الدولة السعودية في اليمن، وطبيعة دور الجيش في هذه العمليات، ورغبة الدول الممولة لهذه الصفقات في تعزيز قدراته على تنفيذ عمليات داخل الأراضي اليمنية، وأيضًا لتكون لدية القدرة على حفظ الملاحة في مضيق باب المندب.

ورغم كل التفسيرات تبقى جدلية من يقف خلف تمويل هذه الصفقات، لأن من يقوم بالتمويل له أهدافه الخاصة، ويمكن أن تتعارض هذه المصالح مع المصالح الوطنية للدولة المصرية، إذا كانت المؤسسة العسكرية تدرك هذه المصالح وتسعى لحمايتها.





اعتبارات تطوير خط عمليات المعلومات

(دليل الجيش الأميركي الميداني لمكافحة التمرد)*

اختيار الكلمات المستخدمة بعناية، فالكلمات مهمة إذ لها معان محددة وهي تصف السياسة. فعلى سبيل المثال، هل قوات مكافحة التمرد قوات تحرير أم احتلال؟ فالمحتلون يستثيرون "المقاومة"، بينما قد يلقى المحررون الترحيب لفترة من الزمن. كما يمكن التأثير في الجنود ومشاة البحرية بنفس القدر. ففي أي نزاع قد ينشأ بين الناس، فإن مصطلحات مثل "ميدان المعركة" تؤثر على التصورات، وتربك الطبيعة الحرجة للنهج المتزامن. فيجب الامتناع عن الإشارة إلى أو اعتبار منطقة العمليات "ميدان معركة" أو أنها في طريقها إلى أن تصير كذلك.

- نشر ما يقوم به المتمردون من عنف واستخدامهم الإرهاب، من أجل تشويه سمعة التمرد. وتحديد الأعمال البربرية التي يقوم بها المتطرفون، وتجاهل المتمردين للخسائر المدنية.

- الاعتراف بالأخطاء (أو الأفعال التي يرى السكان أنها أخطاء) في الحال. وشرح هذه الأخطاء والأعمال بالكامل قدر الإمكان، وهذا يشمل الأخطاء التي ارتكبتها القوات العسكرية الأمريكية. ومع ذلك لا تحاول أن تشرح الأعمال التي تقوم بها حكومة الدولة المضيفة. وبدلاً من ذلك شجع مسئولي الدولة المضيفة على تناول مثل تلك المعلومات بأنفسهم. فهم يعرفون التبعات الثقافية لأفعالهم بشكل أفضل، فالاستقامة ستساعد على بناء الشرعية.



- تسليط الأضواء بشكل فوري على النجاحات التي تحققها حكومة الدولة المضيفة وقوات مكافحة التمرد. فالنتائج الإيجابية تفرض نفسها وتترك صدى لدى الناس. ويجب عدم التأخر في الإعلان انتظارًا لمعرفة كل النتائج. وإقامة اتصالات أولية في الحال لتعريف المواطنين بأعمال قوات مكافحة التمرد وأسباب قيامها بذلك. والتأخر عن الإعلان يجعل "الأخبار قديمة" ويحدث خللًا في دورة الأخبار.

توصيات ينبغي لسياسة مكافحة التمرد أن تسلكها، وهي السياسة التي اعتمدتها جهات صناعة القرار الأمريكية لتثبيت وشد أزر الحكومة المحلية في مواجهة حركات المقاومة.

- الاستجابة السريعة لدعاية المتمردين. فالتأخر عن ذلك يمكن أن يسهم في انتشار رواية المتمردين للأحداث والتجاوب معها. وهذا الاعتبار قد يتطلب إعطاء المزيد من تقييمات المعلومات والمسئوليات للقادة على المستوى الأقل.

- تشكيل تطلعات السكان. فعادة ما يتوقع عامة السكان الكثير والكثير في وقت قريب، وعندما تتباطأ حكومة الدولة المضيفة أو قوة مكافحة التمرد في الوفاء بذلك، يصبح السكان بسهولة وربما بصورة غير عادلة أكثر عرضة للغضب.

- إعطاء عامة السكان فرصة للتعبير عن آرائهم وشكاواهم، حتى ولو ظهر أن هذا النشاط في البداية يسبب مشاحنات. فمثل هذه الفرص تعد في غاية الأهمية لكل من الفعاليات السياسية الرسمية وغير الرسمية، وللقضايا المحلية (حيث تحتك الحكومة بالمواطنين بصورة مباشرة). وتطوير آليات للتغذية الراجعة بالمعلومات من السكان إلى الحكومة المحلية لتحديد الاحتياجات وتصحيح التصورات.

- الحفاظ على تواصل الجنود ومشاة البحرية مع السكان. فتنفيذ الدوريات يسهل على الجنود ومشاة البحرية الاختلاط بالمواطنين. وكلما تعرف عامة السكان وقوات مكافحة التمرد على بعضهم البعض بشكل أفضل، تنشأ قنوات اتصال مزدوجة تبني الثقة، وتسهل الحصول على المعلومات الاستخبارية.



- إجراء تقييمات مستمرة، وتحديد الزعماء المؤثرين على المواطنين على الأصعدة المحلية والإقليمية والوطنية. وتحديد خطوط الولاء ذات الصلة لدى السكان بدقة كبيرة قدر المستطاع.

- معاملة المعتقلين بصورة مهنية، والإعلان عن طرق معاملتهم. وتنظيم جولات لقادة الدولة المضيفة لرؤية أماكن الاحتجاز. ودراسة إمكانية السماح لهم بالتحدث إلى المعتقلين، وتناول نفس الطعام الذي يتناوله المعتقلون. أما إذا رغبت أي جهة إخبارية أو أي ممثلين عن حكومة الدولة المضيفة في زيارة مرافق الاعتقال، فيتعين السماح لهم قدر الإمكان بالدخول إلى كل الأماكن. مع تقديم جولة إرشادية لهم، وشرح كافة الإجراءات المتخذة داخل المكان.

- دراســة إمكانية تشجيع قادة الدولــة المضيفة على إقامة منتدي لبدء محادثات أولية مع المعارضة. وهذا بطبيعة الحال لا يعني "التفاوض مع الإرهابيين". إنما هي محاولة لفتح الباب للتفاهم المشترك. وربما لا توجد أرضية مشتركة، أو لا يتحقق شيء بصورة محددة أو مباشرة من الحوار. ومع ذلك فإذا تحدث القائمون على مكافحة المتمردين مع أعدائهم، فسيستخدمون مقاربة إيجابية وربما يتعلمون بعض الأشياء المفيدة. وفي حالة ما إذا كانت الدولة المضيفة رافضة للتواصل مع المتمردين، فقد يلزم أن تبدأ عناصر أخرى من قوات مكافحة التمرد في التواصل معهم. والنظر في تبني مقاربة "نحن ندرك لماذا تقاتلون"، وتوضيح هذا الموقف للمتمردين.



- العمل على إقناع قادة المتمردين بأن وقت المقاومة قد ولى، وأن هناك طرقًا أخرى لتحقيق ما يريدونه.

- تحويل طلبات المتمردين على المتمردين أنفسهم. ودراسة المشكلات المتنازع عليها بصورة موضوعية، ثم العمل مع قادة الدولة المضيفة لحل هذه المشاكل قدر الإمكان. وتصوير أي نجاح على أنه علامة على الاستجابة والتحسن.

- تصوير قوات مكافحة التمرد على أنها قوية، ومثابرة، وترغب في مساعدة السكان أثناء المشاكل الحاضرة.

- اكتشاف رسائل أو سرديات المتمردين. وتطوير رسائل وقصص سردية مضادة لدحض أيديولوجية المتمردين، وفهم الثقافة المحلية جيدًا للتمكن من فعل ذلك. ويمكن لموظفي الدولة المضيفة أن يلعبوا دورًا رئيسيًّا في تنفيذ ذلك.

- تذكر دومـًا أن مسئولية وسائل الإعلام تتمثل في نقل الأخبار. والمعيار الذي ينبغي أن يقاس به دور المؤسسات الإعلامية يتمثل في الدقة التي يكملها توفير السياق، والتوصيف السليم للاتجاهات الشاملة، لا إذا ما كانت هذه المؤسسات تصور أعمال قوات مكافحة التمرد، وقوات الدولة المضيفة، ومسئولي الدولة المضيفة بشكل إيجابي أو سلبي.

- عقد لقاءات في المدينة لتقييم وتحديد المناطق التي يمكن لقوات مكافحة التمرد أن تحسن بها الأوضاع.

- عندما يتبع المتمردون أيديولوجية تستند إلى التطرف الديني، فينبغي أن تشجع عمليات المعلومات وتقوي وتحمي العناصر المجتمعية المعتدلة. ولابد أن تجسد موضوعات القيادة صورة تتمتع بالمصداقية والجاذبية التي تنسجم مع الثقافة المحلية. وفي نفس الوقت يجب على القادة تجنب التدخل في الشئون الدينية الداخلية للمجتمع.



من مقالات القراء

الحرب في شرق المتوسط.. الأفق والاحتمالات

خالد موسى

أثارت صفقات التسلح المصري في السنوات الأخيرة كثيرًا من علامات الاستفهام، نظرًا لنوعيتها التي ترتكز على سلاح البحرية ومحاولة تطوير سلاح الجو وعدم وجود سبب واضح ومحدد معلن لهذا التوجه، بالإضافة لكون الصفقات بمليارات الدولارات ومعظمها بقروض بفوائد عالية في ظل تراجع وانكماش الاقتصاد المصري.

ولما كانت العلاقات الآن في أعلى درجات الود والصداقة والتعاون الاستراتيجي بين الكيان الصهيوني ونظام السيسي في مصر مع غياب خلافات أو مشاكل خطيرة مع أي دولة في المنطقة المحيطة بمصر، تتبقى احتمالية واحدة لتفسير هذا التسلح. وهي تقوية الذراع العسكري للحلف الإماراتي السعودي المصري في مواجهة الحلف التركي القطري. وتدعم هذا الاحتمال الأمور التالية:

اكتشافات الغاز في شرق المتوسط واتفاقيات ترسيم الحدود البحرية الاقتصادية بين قبرص واليونان ومصر، دون موافقة تركيا وهذا سبب كافي بمفرده للمواجهة والصدام.

الدعم العسكري التركي لقطر الذي أفشل مخططات احتلالها عسكريًّا بعد الحصار، مما سبب لطمة لدول الحصار.

اشتداد الصراع الإقليمي بين المحورين: سواء على مستوى ، والدعم من الولايات المتحدة، أو على المستوى السياسي في الصراعات المنطقة. حيث يحاول كلا المحورين مد نفوذهما في باقي دول الإقليم عبر دعم الاتجاهات السياسية الموالية له؛ ففي تونس على سبيل المثال يدعم الحلف الإماراتي السعودي المصري الرئيس السبسي وشيعته. أما تركيا وقطر فتدعم المرزوقي بقوة والنهضة بشكل ثانوي. والانتخابات الرئاسية هذا العام ستمثل جولة جديدة بينهم.

أما في ليبيا فيدعم الحلف الأول حفتر وأما الثاني فيدعم حكومة الوفاق والسراج. وكذلك حدثت بينهما مناوشات في السودان قبل تنحي البشير وبالإمكان أن تستمر مع تطور الأحداث. وفي الصومال يوجد صراع تركي إماراتي واضح وخلف كلا منهما باقي الحلف.

> وفي باقي المناطق يحاول الحلف القطري التركي إضعاف مصالح الحلف السعودي الإماراتي المصري بعدة طرق، منها أحيانًا التفاهم والتعاون مع إيران في بعض الأمور مثل سوريا واليمن واتفاقيات التجارة وتصدير البترول الإيراني.



دعم وإيواء قطر وتركيا لعناصر من جماعة الإخوان المسلمين التي يعدها الحلف السعودي الإماراتي المصري أحد أهم أعدائه بشكل رئيسي في المنطقة.

نمط التسلح المصري يظهر بجلاء توجهه ضد القوة التركية وسوف يتضح ذلك ببساطة عند مناقشة تفاصيله في الفقرات التالية:

بالرغم من كل الأسباب السابق ذكرها والأسباب الثانوية الأخرى، إلا أننا قبل الدخول في احتمالات وسناريوهات الصراع بين الحلفين، يجب أن نضع أطرًا ومحددات له حتى لا يُساء فهم طبيعته أو إخراجه من سياقه كما يفعل البعض من أصحاب المصالح في كلا الطرفين، ولذا سنذكر السمات الحاكمة التي يمكن إيجاز أهمها في النقاط الآتية:



أولًا: الصراع بين الحلفين جزء كبير منه يدور في اتجاه محاولة كسب النفوذ لدى دوائر صنع القرار الأمريكي، والتنافس على محاولة ادعاء أن أحد الحلفين هو أفضل للمصالح الأمريكية في المنطقة، أو محاولة تقسيم النفوذ بين كلا الحلفين اللذين يمثلان مع إيران وإسرائيل اللاعبين الأساسين في المنطقة.

ثانيًا: بالرغم من النقطة السابقة يجب التمييز بأن الحلف القطري التركي أقل ضررًا على الشعوب المسلمة من الحلف الإماراتي السعودي المصري، بالنظر للمصالح والمفاسد المترتبة على الشعوب المسلمة جراء سياستهما.

ثالثًا: هذه المرحلة الزمنية هي المرحلة الوسيطة التي تمهد لظهور قوة تمثل الشعوب المسلمة تمثيلًا حقيقًيا من الناحية الشرعية والسياسية، وما يحدث في المنطقة والعالم هو من سُنة التدافع التي قررها الله عز وجل لتكون رحمة بعباده، ولذا ينبغي ألا تنشغل النخب الاسلامية بغير الاستعداد والبناء الدؤوب والانتظار لاستغلال الفرص المناسبة للانعتاق من العبودية والتحرر من سيطرة النظام الدولي وأميركا ووكلائهم المحليين؛ فمراحل بناء القوة والدولة لا تكون بدون السنن الكونية المقررة لها .

رابعًا: لابد من الوعي التام بكل أبعاد واحتمالات الصراع في المنطقة أو الإقليم والعالم، وفهمها وتحليلها تحليلًا علميًّا وصحيحًا؛ لتتمكن الشعوب المسلمة وممثليها الحقيقيين من استباق الأحداث وتوقع المستقبل، بما يخدم مشروع التحرر الحقيقي للأمة؛ فهذا ينبغي أن يكون المقصد والغاية من كل المتابعة والتحليل.

سنحاول الآن أن نستعرض أوجه القوة المصرية والتركية بدون الدخول في تفاصيل كثيرة، تيسيرًا على غير المتخصص ثم نتبعها بسيناريوهات الصراع وطبيعته المحتملة.



القوات البحرية التركية

- يبلغ عدد الأفراد العاملين في البحرية حوالي 54 ألف فرد.
- عدد ١٢ غواصة تايب ٢٠٩ الألمانية.
- عدد ١٨ فرقاطة منها ١٠ طراز ميكو الألمانية، و ٨ من طراز أوليفر هازارد بيري الأمريكية مطورة.
- عدد ٦ كورفيتات من طراز إيه ٦٩ افيوس الفرنسية.
- عدد ٤٧ سفينة قتال ساحلي وزوارق صواريخ أغلبها من طرازات ألمانية.
- عدد 5 سفن إنزال بري من طرازات متعددة قادرة على حمل من ١١ ل ٢٠ دبابة، ومن ٢٥٠ لـ١٠٠٠ من الجنود بمعداتهم، ومزودة بمنصة تتسع لعدد ١ أو ٢ هيلكوبتر.
- عدد ١٥ طائرة ثابتة الجناح و ٣٧ هيلكوبتر بحري.
- عدد ٣٠٠٠ من مشاة البحرية.
- عدد ٨٠ قطعة أخرى متنوعة من سفن مكافحة الألغام وقوارب الإنزال وسفن الإمداد والتموين والمهام الأخرى.

القوات الجوية التركية

- عدد ٢٤٠ طائرة إف- ١٦ مختلفة الأجيال.
- عدد ٩٠ طائرة من طرازات إف- ٤ فانتوم وإف- ٥ مطورة .
- عدد ٤٤ طائرة هيلكوبتر هجومية من طراز أتاك التركية.

الدفاع الجوي التركي

- منظومة نايكي هيركليز للدفاع البعيد ومداها ١٤٠ كم وارتفاعها ٣٠ كم .
- منظومة صواريخ هوك للدفاع المتوسط ومداها ٤٥ كم.
- عدة منظومات مختلفة للدفاع القصير المدى، مثل رابير وستينجر وغيرها.



القوات البحرية المصرية

- عدد الأفراد ١٨٥٠٠.
- عدد ٢ غواصة تايب ٢٠٩ الألمانية وعدد ٤ طراز روميو السوفيتية غير قادرين على
- العمل الفعلي ويستخدموا في أغراض تدريبية.
- عدد 8 فرقاطة، منها ١ طراز فريم الفرنسية، و ١ طراز جويند الفرنسية، و ٢ طراز نوكس الأمريكية، و ٤ طراز اوليفر هازارد بيري الأمريكية.
- عدد ٣ كورفيتات
- عدد ٥٨ سفينة قتال ساحلي وزورق صواريخ.
- عدد ٥ سفن إنزال منهم ٢ ميسترال الفرنسية قادرة على حمل ١٦ هليكوبتر و ١٣ دبابة و ٤٥٠ فرد بكامل المعدات، و 3 سفن من طراز بولونشي قادرة ع حمل ٦ دبابات و ١٨٠ فرد بكامل المعدات .
- عدد ٤ طائرات ثابتة الجناح و ١٥ هيلكوبتر.
- عدد ٥٥ قطعة متنوعة في مكافحة الألغام وزوارق إنزال وسفن إمداد وتموين.

القوات الجوية المصرية

- عدد ٢١٠ طائرة إف- ١٦ من أجيال مختلف.
- عدد ١٢ طائرة رافال من إجمالي ٢٤ تعاقدت عليها.
- عدد ٣٠ طائرة جي -٧ الصينية.
- عدد ٦٥ طائرة ميراج.
- عدد ٨ ميج -٢٩ من إجمالي ٣٠ تعاقدت عليها.
- عداد من طائرة ميج -٢١ غالبًا ستخرج تمامًا من الخدمة في أقرب وقت
- عدد ٤٥ أباتشي هيلكوبتر هجومي و ٣ من طراز كاموف ٥٢

الصراع المصري التركي

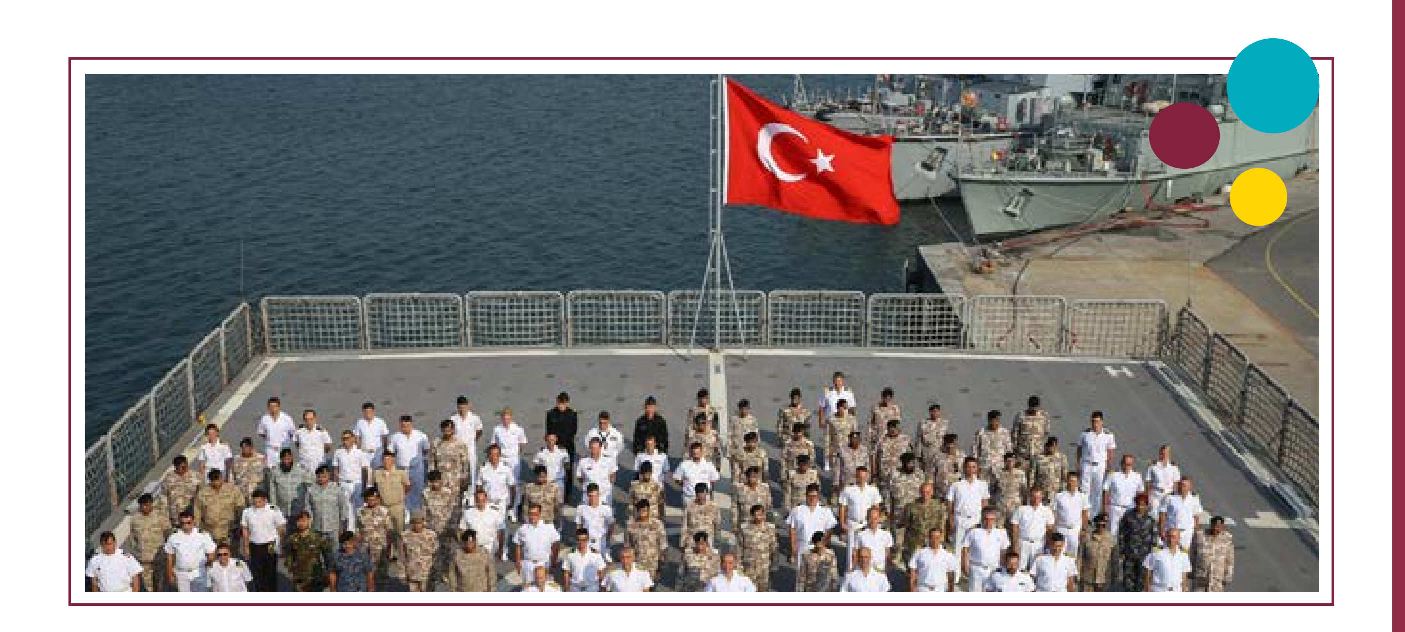
سنعقد مقارنة بسيطة بين القوى الفاعلة في القوات البحرية والجوية بين كلا الطرفين، وهذه المقارنة هي مقارنة كمية فقط، ولكننا راعينا فيها التناسب النوعي بدون ذكر التفاصيل التي يعرفها المختص وسوف تطيل وتعقّد الأمر على غير المختص.

تركيا	مصر
عدد ١٢ غواصة تايب ٢٠٩	عدد ٢ غواصة تايب ٢٠٩
عدد ١٠ فرقاطة ميكو المانية	عدد ١ فريم و ١ جويند فرنسيتين
عدد ٨ فرقاطة اوليفر هازارد بيري	عدد ٢ فرقاطة نوكس و ٤ اوليفرهازارد
عدد ٢٤٠ طائرة اف ١٦ متنوعة	عدد ٦٥ طائرة ميراج و ٣٠ طائرة جي٧
عدد ٩٠ طائرة اف ٤ واف ٥	عدد ٢١٠ طائرة اف ١٦ متنوعة
عدد ٦ كورفيتات	عدد ١٢ طائرة رافال و ٨ ميج ٢٩
	عدد ٣ كورفيتات

يوضع في الاعتبار عند المقارنة أيضًا العوامل الآتية:

الخبرة القتالية والمعرفة بمسرح العمليات والجاهزية القتالية وهذه العوامل يمكن الاختلاف فيها كونها غير مضبوطة بأرقام محددة، ولكن كمنظور عام البحرية التركية أكثر دراية بمسرح العمليات شرق المتوسط كونه مكان عملها وتدريبها الأساسي، وبالنسبة للخبرة القتالية لم تخض مصر معارك بحرية في تاريخها الحديث باستثناء ضرب السفينة ايلات قبالة الشواطئ المصرية وبعض المناوشات الدفاعية في حرب السويس **١٩٥٦** .

شاركت تركيا في العصر الحديث في حربين ضد قبرص واليونان عامي **١٩٦٣** و **١٩٧٤** ، جزء كبير منها كان بحريًا، وفي نفس مسرح العمليات المتوقع، أما بالنسبة للجاهزيةالقتالية فهذه تخضع للظروف، وخروجًا من الجدل يمكن القول بأنها متقاربة نسبيًا.



" إذن الخلاصة هي تفوق تركي كبير في القوة البحرية والمعركة البحرية البحتة، وتكافؤ في القوة الجوية بين الجانبين، ومرشح ليكون هناك ميل بسيط ناحية الجانب المصري إذا زاد عدد أسرابه من الرافال وحسن التسليح والذخائر الجوية العاملة معه. "

هذه النتيجة تفسر أمرين أساسين وهما اتجاهات التسلح وشراء المعدات وسيناريو الحرب المتوقع بين البلدين:

اتجاهات التسلح والشراء لدى تركيا و مصر

اشترت مصر من فرنسا فرقاطتي فريم وجويند ٢٤ طائرة رافـال، وصل منها ١٢ وسفينتي الانزال ميسترال، وتسعى لشراء فرقاطة أو اثنتين أخريين، وطلبت ٢٤ طائرة رافال أخرى ورُفض الطلب حاليًا.

واشترت مصر من ألمانيا غواصتين تايب-٢٠٩ ، وتسعى لشراء عدد من فرقاطات ميكو وشراء غواصات أخرى من نفس الطراز، ولكن لم يظهر شيء واضح في الأفق القريب.

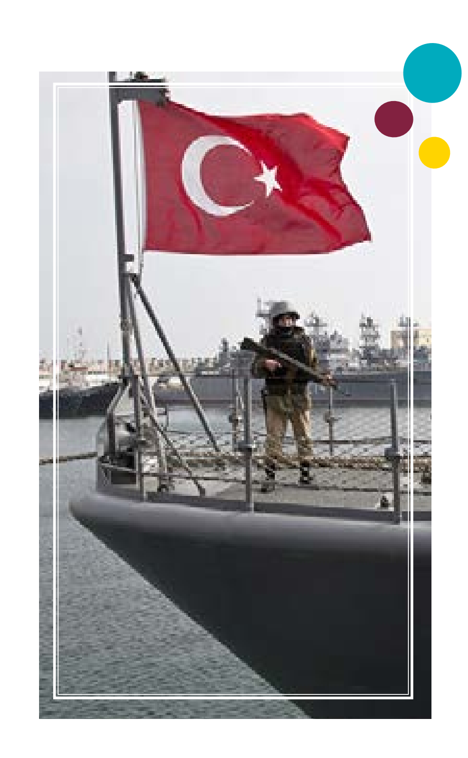
بينما تعاقدت تركيا على اس-٤٠٠ للدفاع الجوي من روسيا، وأعلن أنها ستصل في شهر أكتوبر من هذا العام، وطلبت شراء سوخوي-٥٧ من روسيا في حال أوقفت أمريكا تزويدها بطائرات إف-٥٣ المتعاقدة عليها. وفي الجانب البحري تسعى فقط لزيادة الصناعة المحلية وبناء سفن حربية متنوعة والتطويرات المختلفة في التسليح واستعمال الطائرات بدون طيار في الجانب البحري، وسنناقش تأثير اس٤٠٠ والدفاع الجوي التركي على التوازن العسكري بعد مناقشة سيناريو الحرب المتوقع.

سيناريو الحرب في شرق المتوسط

بناء على العوامل السابقة التي ناقشناها من الأوضاع السياسية والقدرات العسكرية، يتبين أن المعركة ستبدأ في الأغلب بصراع على مناطق الغاز في شرق المتوسط، تحاول فيه تركيا بسط سيادتها عن طريق البحرية التركية، أو أن يحدث ذلك الصراع سياسيًا ولا تحرك تركيا قطعها البحرية، ولكن تفاجئها القوات المصرية بضربة استباقية أو ببداية الحرب، والخطة المصرية المتوقعة لابد أن ترتكز على مرحلتين أساسيتين:



أولًا : ضربة جوية مفاجئة موسعة



وهذه الضربة الجوية ستكون عبر أسراب الإف ١٦ مع دعم من سرب الرافال، ومن الممكن أن تستهدف الآتي حسب الهدف الموضوع للخطة:

- القطع البحرية التركية في مسرح العمليات في شرق المتوسط.
- القواعد البحرية التركية المطلة على المتوسط.
- المطارات القريبة من مسرح العمليات.
- قواعد الدفاع الجوي المتحكمة في مسرح العمليات.

فإذا كان هدف الخطة تحقيق سيادة جوية على مسرح العمليات، فلابد أن تشمل الضربة الجوية جميع الأهداف الأربعة، أما لو كان الهدف هو تدمير القوة البحرية التركية أو إضعافها فيُكتفى بضرب القطع البحرية والقواعد البحرية فقط.

بالطبع السيناريو الأفضل للقوات المصرية هو الضربة الجوية الشاملة وتحقيق السيادة الجوية، وهذا سنبينه من توضيح المخاطر المحتملة لهذه الضربة الجوية.

تواجه هذه الضربة الجوية لتحقق أهدافها العديد من التحديات منها:

أهمية تحقيق عنصر المفاجأة لتفادي استعداد الدفاع الجوي والمقاتلات التركية لمواجهة وصد الهجوم الجوي، مما قد يترتب عليه فشلها أو إضعاف تأثيرها في أحسن الأحوال.

إذا تم تركيب منظومات اس٤٠٠ للدفاع الجوي في تركيا، فاحتمالية نجاح هذه الضربة حتى مع عنصر المفاجأة لن يزيد على ٥ بالمئة في أفضل تقدير، وبالرغم من أن تركيا تمتلك منظومات هوك ونايكي هيركليز

الامريكية للدفاع الجوي، إلا أنها منظومات قديمة ومعظمها تتضمن صواريخ كبيرة وذات مواقع ثابتة، والمتوقع أنها قد وُضعت للدفاع عن المدن الكبيرة المهمة، وفي الاتجاه الاستراتيجي الرئيسي ضد اليونان، وغير معلوم إمكانية أو مدى تغطيتها لمسرح العمليات المتوقع، وبالطبع عدم إمكانية وسائل الدفاع الجوي البحري والقصيرة في صد هجوم جوي شامل مخطط له من قبل مقاتلات مثل إف١٦ .

احتمالية تحول الضربة الجوية لمعركة جوية بين سلاحي الجو المصري والتركي، وهناك تكافؤ نسبي بينهما بالقدرات الحالية كما ذكرنا، وهذا قد يفشل هدف الضربة الجوية أو يحد من تأثيرها إلى حد كبير.

ثانيًا: هجوم بحري لبسط السيطرة على مسرح العمليات

بعد تحقيق الضربة الجوية للسيادة الجوية على مسرح العمليات، تقوم بدفع القطع البحرية المصرية الرئيسية لبسط السيطرة على مسرح العمليات، ولابد من دعم هذا التحرك بغطاء جوي من الطلعات المستمرة خصوصًا في حال عدم تحقيق السيادة الجوية الكاملة، أو الاكتفاء بتوجيه ضربة إجهاضية فقط للبحرية التركية، وعدم تدمير المطارات ووسائط الدفاع الجوي الحاكمة.



إذن الخطة المصرية المتوقعة لابد أن تعمل على تفادي المعركة البحرية البحتة ضد البحرية التركية المتفوقة، وأيضًا لابد أن تعمل على التأمين الجوي لمسرح العمليات على الأقل، إن لم تحقق السيادة الجوية الكاملة كما تقدم.

أما بالنسبة للجانب التركي فتعتمد خطته الدفاعية على عدة أمور:

أولًا: في حال قدرته على تأمين غطاء جوي بواسطة وسائط الدفاع الجوي الحالية أوبعد تركيب منظومات اس٤٠٠ ، فسترتكز خطته على تدمير أي وجود بحري معادٍ في مسرح العمليات بواسطة سلاحه الجوي، وفي هذه الحالة خصوصًا لو مع منظومة مثل اس٤٠٠ يكون له قدرة دفاعية كاسحة ضد أي هجوم، حتى لو كان هجومًا أوسع وأشمل كما سنناقش لاحقًا، فسيتمتع بالسيادة الجوية المطلقة في مسرح العمليات.

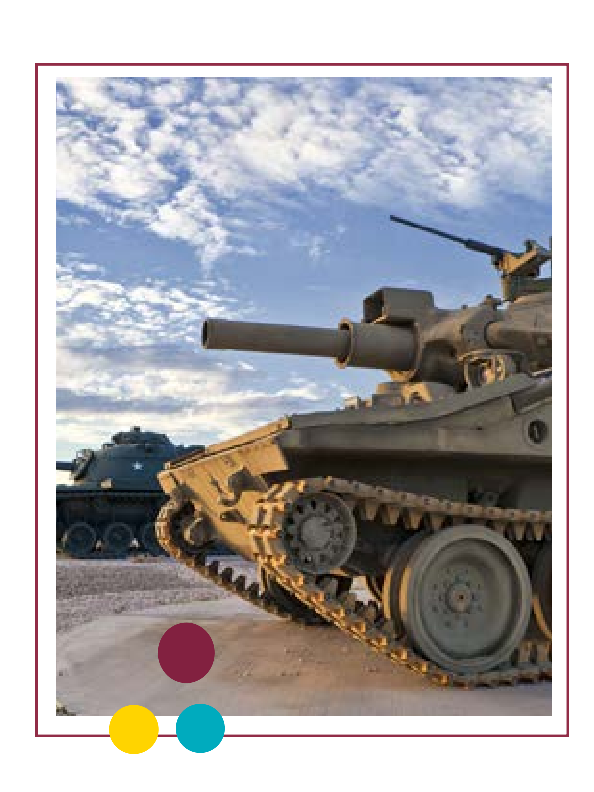
ثانيًا: في حال قصور منظومة دفاعه الجوية عن تأمين غطاء كامل فسيعتمد على إبطال عنصر المفاجأة عبر الاستطلاع والإنذار المبكر لأي هجوم جوي، مع الاحتفاظ بجهوزية مقاتلاته للتدخل بسرعة لمجابهة العدوان الجوي، وسيواجه الهجوم البحري المعادي بأسطول غواصاته القادر على التفوق على قطع السطح كخط دفاع أول، وسيضع أسطول السطح لديه كخط دفاع ثاني أو كدعم لمجهود الدفاع الرئيسي بواسطة أسطول الغواصات، وسيعتمد على حسن التنسيق والتعاون بين القوات الجوية والبحرية في إدارة معركة الدفاع عن مسرح العمليات، وفي هذه الحالة يتوقع أن تميل الكفة لتركيا في حال مواجهة القوات المصرية بالقدرات الحالية وعدم تدخل اليونان ضد تركيا متحالفةً مع مصر.

لابد أن نذكر أن احتمال تطور الصراع بين الحلفين إلى صراع عسكري على مستوى حرب بين مصر وتركيا حتى وإن كانت بحرية فقط، هو احتمال بعيد في ظل الظروف الحالية نظرًا للعوامل الآتية:

- اختلال الميزان العسكري بين تركيا ومصر لصالح تركيا بشكل كبير، خصوصًا في مسرح العمليات المتوقع في شرق المتوسط.

- وجود أردوغان وحزبه كنظام حكم قوي لتركيا وسيطرته على الجيش بعد محاولة الانقلاب بشكل كبير، وعدم وجود بوادر سقوط له حاليًا.

- عدم تحمل التوازن السياسي والاستراتيجي للإقليم والعالم في ظل الظروف المتغيرة وغير المستقرة لحرب في هذه المنطقة بين دولتين مثل تركيا ومصر، التي قد يصعب السيطرة عليها وعلى نتائجها، مما قد يدفع لحرب إقليمية شاملة أو حتى بداية حرب عالمية جديدة.



وبالرغم من هذا التوقع لصعوبة المواجهة العسكرية، إلا أنها تبقى احتمالاً مطروحًا وسببًا رئيسيًا في سعي كلا الحلفين إلى إضعاف الآخر، وتقوية نفسه وبناء قوة ردع عسكرية، وأيضًا مع تغير الظروف المتلاحق والسريع في المنطقة والعالم، ولعديد من العوامل التي تزكي احتمال الصدام مستقبلًا والتي سنناقشها في الفقرة التالية، لابد علينا من دراسة هذا الاحتمال للمواجهة العسكرية ونتائجها واحتمالات حدوثها وتطورها.

الصراع الاقليمي الأوسع

إن وجود احتمال للصدام العسكري بين الحلفين، يحتم دراسة مستقبل هذا الصدام، وإذا حدث صدام عسكري في شرق المتوسط كما ذكرنا في السيناريو السابق، فإن احتمال تطوره لصراع إقليمي أوسع هو أمر مرجح، وتشير بعض الدلائل والمتغيرات إلى وجود توافق مصالح بين عدة أطراف إقليمية ودولية من أجل منع صعود تركيا كقوة إقليمية كبيرة، والرغبة في إعادة تقزيمها وتقليم أظفارها، وهذا يتأتى بإبعاد حزب العدالة والتنمية وأردوغان عن الحكم، كونه هو الذي تسبب في هذه النقلة لتركيا، ونظرًا لمواقفه وطموحاته في توسيع النفوذ وزيادة القوة لتركيا.

ويبدو أن هناك محورًا داخليًا لتنفيذ هذه الرغبة تمثل في محاولة الانقلاب العسكري في ٢٠١٦ ، والتي فشلت وتبعها تعزيز قبضة أردوغان على الحكم والجيش، مما يسد احتمالية تكرارها في المستقبل القريب، ويبدو العمل الآن على المحور السياسي عبر دعم وتنظيم محور سياسي معارض، والعمل على تقويته بالأموال والإعلام والدعم السياسي، ولكن ماذا يمكن أن يحدث في حال فشل المحور الداخلي في تحقيق الهدف؟

ربما لا يكون مستبعدًا تحول هذه الرغبة إلى خطط وتحركات عسكرية يكون رأس حربتها المحور السعودي الإماراتي المصري، وبدعم إقليمي من دول مثل اليونان وتحت رعاية أمريكية ترامبية ربما.

نعود ونذكر أن في ظل الحالة الحالية من التقلب وعدم الاستقرار في الوضع الإقليمي والنظام الدولي، فكل الاحتمالات مفتوحة، ويدعم هذه الرؤية الأمور التالية:

- **اتجاه ترامب للميل** لجانب الحلف السعودي الإماراتي المصري، ومع تزايد احتمالية فوزه بولاية ثانية وميله لاتخاذ قرارات مفصلية في كثير من الأمور العالقة.

- **موافقة نتينياهو** على توريد السلاح الألماني لمصر، مما يوضح معرفته واتفاقه على العدو الذي ستوجه له هذه الأسلحة.

- **التدريبات البحرية والجوية** المشتركة الكثيرة بين قبرص واليونان ومصر، وهي تعطي الخبرة القبرصية اليونانية في مواجهة تركيا وتشابه مسرح العمليات لمصر.

- **التدريبات المشتركة الكثيرة** بين فرنسا ومصر خصوصًا البحرية والجوية، والتي تستهدف رفع كفاءة استعمال المصريين للأسلحة الفرنسية.

- **المحاولات السعودية الإماراتية** لإسقاط نظام أردوغـان من الداخل، وبالطرق الإعلامية السياسية، خصوصًا بعد فشل دعم الانقلاب العسكري وعدم وجود أفق له في المستقبل القريب.

في حالة حدوث سيناريو المواجهة الأوسع سواء كان نتيجة لتطور المواجهة بين مصر وتركيا، أو من البداية بشن الحرب عبر تحالف مصر واليونان وقبرص ضد تركيا، فإن مسرح العمليات المتوقع سيشمل مياه شرق المتوسط وجزيرة قبرص وجزر ومياه بحر إيجة والحدود البرية التركية اليونانية.

القوات البحرية والجوية اليونانية

- عدد الأفراد في القوات البحرية ١٦٢٥٠.
- عدد ١١ غواصة منهم ٧ غواصات تايب ٢٠٩، وعدد ٤ غواصات تايب ١٢٤ الأصغر حجمًا وكلهم صناعة ألمانية.
- عدد ١٣ فرقاطة منهم ٤ طراز ميكو الألمانية و ٩ صناعة هولندية.
- عدد ٥ كورفيتات.
- عدد ٣٣ سفن قتال ساحلي وزوارق صواريخ وعدد ٥ سفن إنزال.
- عدد ١٥٠ طائرة إف ١٦ .
- عدد ٤٥ طائرة ميراج وعدد ٢٠ طائرة إف ٤ فانتوم.
- عدد ٢٨ طائرة أباتشي هيلكوبتر.
- تمتلك اس ٣٠٠ وباتريوت وهوك كمنظومات دفاع جوي متوسط وبعيد المدى.

قبرص

تمتلك **تركيا ٤٣ ألف جندي** في قبرص الشمالية بكامل المعدات والأسلحة، ينتظمون في فرقتين مشاة ميكانيكية ولواء مدرع وقوات جوية، بالإضافة لباقي الأفرع المعاونة.

بينما تمتلك **اليونان ١٢٠٠ جندي**، كلهم من الجيش والحرس الوطني، ينتظمون كلواء مشاة ميكانيكية في قبرص الجنوبية.

وتمتلك **بريطانيا قاعدة جوية** في قبرص مدعومة بسريتين مشاة، وبها عدد ٦ طائرات تايفون و٦ طائرات تورنادو وسرب هليكوبتر من طراز بيل، وتستخدم في عمليات القصف على العراق وسوريا وليبيا.

تمتلك قبرص عدد ١٣٤ دبابة خفيفة، وحوالي ٤٠٠ ناقلة جند مصفحة، و ٢٤ مدفع ذاتي الحركة، وبضع زوارق للدورية البحرية و ١١ هليكوبتر هجومي مي ٣٥ و٧ من طراز جازيل.

سيناريو الحرب المتوقع وتوازن القوى

سيكون هناك تفوق جوي بمقدار ١٢٠ طائرة إف ١٦ زيادة للمحور المصري اليوناني، وبمقدار حوالي ٧٠ طائرة من الصف الثاني، بالإضافة لسرب الرافال مما يعطي للمحور اليوناني المصري تفوقًا جويًّا واضحًا.

- بالنسبة للقوة البحرية سيتحول ميزان القوة بدلًا من التفوق الكاسح للجانب التركي ضد مصر، إلى تكافؤ نسبي بين تركيا ضد مصر واليونان، مع تفوق طفيف لهم بنسبة ضئيلة لن تحدث فارقًا في معركة بحرية بحتة.

- بالنسبة للكيان الصهيوني فلا يتوقع أن يشارك في هذا الحلف العسكري بشكل مباشر ضد تركيا، ولكن سيكتفي بالدعم المستتر والاستخباراتي، وربما بعض الدعم السياسي البسيط كجزء معلن لعدة أسباب:

أولًا: الحرب سيكون جلها في مسرح عمليات بحري، ولا تمتلك إسرائيل الإمكانيات البحرية اللازمة للدعم في هذه المواجهة .

ثانيًا: مشاركة إسرائيل في الحرب بشكل معلن تهدد بانفجار حرب إقليمية شاملة أو حرب عالمية بشكل كبير.

ثالثًا: الحرب هدفها تركيع تركيا وليس استئصالها، وبالتالي دخول إسرائيل لن يضيف كثيرًا للمعادلة مع جلب مخاطر ضخمة لا مبرر لها.

يتوقع أن تكون الخطة الهجومية لمصر واليونان مشابهة للسيناريو السابق مع بعض التعديلات، ولكن لابد أن ترتكز أولًا على ضربة جوية مفاجئة وشاملة كما ذكرنا سابقًا بالتفصيل يتبعها أحد الخيارات الآتية:

- هجوم بحري مشترك لبسط النفوذ على المناطق البحرية الاقتصادية محل النزاع.

- هجوم بحري مشترك يتبع بإنزالات برية في قبرص والجزر في بحر إيجة لاحتلال أراضي تركيا، سواء في قبرص الشمالية أو الجزر التركية في بحر إيجة.

في هذا السيناريو الموسع سيكون على تركيا عمل الآتي لضمان إمكانية صد مثل هذا الهجوم الموسع الشامل:

أهم مرتكز هو تقوية الدفاع الجوي الحالي بمنظومات مثل اس-400 مع الوضع في الاعتبار عددها وتوزيعها المناسب .

عمل خطة ردع للضغط على المحور اليوناني المصري في حال تنفيذ هذا السيناريو، تتضمن اجتياح قبرص اليونانية في بداية أي عدوان، والبدء في حرب برية على الحدود المشتركة مع اليونان، وتنفيذ ضربات إجهاضية ضد القوات والقواعد المصرية.

الأمور الأقل أهمية هي الاستمرار في دعم وتقوية القوات البحرية والجوية، خصوصًا بعقد مزيد من الصفقات أو تسريع معدل الصناعات المحلية حسب ما تتقضيه سرعة ومسار الأحداث وتطوره.

يمكن أن يُستغل التكافؤ البحري بين الحلفين مع التفوق الطفيف للجانب اليوناني المصري، في محاولة شن حرب بحرية محدودة فقط ضد القطع البحرية التركية التي توجد في المياه المتنازع عليها، ولكن هذا السيناريو هش وقابل للتطور بسرعة نحو السيناريو الأول الذي ذكرناه سابقًا في أي وقت، بالإضافة إلى أنه سوف يفقد عامل المفاجأة للمحور المصري اليوناني ضد الجانب التركي، ولكن يظل هذا السيناريو ربما مطروحًا كمحاولة ضغط وتركيع للجانب التركي خصوصًا إذا تزامن مع جهد سياسي إقليمي ودولي داعم له، والتعويل على أن تركيا لن تغامر بتوسيع المواجهة العسكرية.



" في النهاية نرجو أن نتذكر أن فهم الأحداث وتحليلها وتوقع تطوراتها، يخضع لعوامل كثيرة ويحتاج لأساس من المعرفة في أمور التاريخ ومبادئ السياسة والاستراتيجية، بالإضافة للمتابعة الجيدة ومصادر المعلومات الموثوقة؛ فلذا تتباين وجهات النظر والتحليل نظرًا للاختلافات الشخصية والفكرية والمعرفية، وليس نسبة للحدث ذاته، فينبغي أن يكون هدفنا دومًا كما ذكرنا هو الاستفادة من كل ذلك من أجل البناء الفكري والعملي لقيادة وتوجه مخلص وحقيقي ليترجم انتفاضات وثورات الشعوب المسلمة إلى مكاسب متراكمة تقود في النهاية إلى بلوغ هدفها المنشود. "



الربيع العربي وأثره على التيارات السلفية والجهادية (٢)

عبدالله العامري

في هذا الجزء وتكملة للمقال السابق وفي ظل هذه المتغيرات الحاصلة وما وقع من هبات جديدة في كل من السودان والجزائر .. بدا لكل متتبع مدى الوعي المنتشر بين جموع الشباب الثائر من خلال إصراره على اقتلاع النظام من جذوره، بغض النظر عن الآليات التي يستخدمها المحتجون، إلا أن الوعي الصحيح بداية النصر..

خارطة طريق

وفي ظل ما يقع، على أهل الخير والصلاح في التيار الإسلامي الذي يتبنى الخط التغييري بطبيعة الحال أن يجتمعوا ويضعوا خارطة طريق يتفقون فيها على أهم القضايا المشتركة (وما أكثرها!) والانصهار في الجموع الثائرة بغية ترشيدها وتوجيهها التوجيه الصحيح كيلا تضيع الثمرة (ثمرة هبة الناس التي لا تتكرر) ويتحقق الفشل في الحفاظ على المكاسب، فتنقلب الأمور بنتائج عكسية كما الحال في مصر وليبيا.

وعليهم أيضًا أن يقطعوا الصلة بمخلفات الماضي وسلبياته وينبذوا الآراء الشاذة وسوء استخدام فتاوي تصلح لبلد دون آخر ، مع الحرص على تصدير أهل العلم والرأي والخبرة في جميع المجالات (الشرعية والاجتماعية وغيرها).

كذلك العمل على نبذ التعصب للأشخاص والكيانات مهما بلغ شأنها (إذا حادت عن الحق).

وها هنا سؤال يطرح نفسه وبقوة

ما معالم الخط العام الذي يجب على العاملين للإسلام أن يمسكوا بزمامه كي تتحول الفوضى التي تعم التيار الإسلامي ليصبح ذا قوة وفاعلية وتأثير فيقود المرحلة الراهنة وكذا المقبلة إلى بر الأمان عبر عمل نبوي رشيد؟

الجواب أنه وفي ضوء ما تقدم من طرح لما قد يؤول إليه أمر الجماعات بعد انصهارها في جموع الأمة وبيان بعض الأمور المهمة التي يجب أن تحرص عليها الأمة لابد من التنبيه على أمر مهم، وهو أن مسألة التنظيرات كثيرة ومتشعبة ويزيد عمقها بإشكالية تنزيلها على أرض الواقع وما يصاحب ذلك من إكراهات.. لكن ومع هذا فإن أقرب التنظيرات للصواب تلك التي خرجت من ذوي الفضل والسبق.. وما ذاك إلا لأن أصحابها ممن عايش الواقع بل شارك في صنع القرار..



أشير إلى بعض ما على العاملين للإسلام فعله كي يرتقوا بحال أمتهم والله الموفق والمعين:

١ على الحركات وقيادات العمل الإسلامي بشكل عام إبعاد الشخصنة، وقد تجلت أمراضها في كل من مصر وسوريا فلم تزد الساحة إلا ضعفًا وهوانًا.

٢ تشكيل تنسيقية/ لجنة إدارة أزمة يديرها رجال متخصصون في كل المجالات، فإذا ما حصلت أزمة يبادر لحلها. وتكون هذه الإدارة ذات وضع قضائي يلزم الجميع بالخضوع له مع الحرص على استقلالية قرار الإدارة.

٣ على قادة العمل الإسلامي أن يؤمنوا أن إدارة الحركة/ الكيان/ التجمع، يجب أن تكون جماعية، وأن تكون هناك لجنة مستقلة من أهل العلم تضبط ذاك التجمع أو الكيان، وتضمن عدم استبداد هذا الطرف أو تقاعس ذاك، ويقصد بإدارة الحركة ما يُعرف في الأدبيات السياسية الحديثة بفصل السلط، فلا يمكن أن يكون شخص واحد يحمل أكثر من مسؤولية ومهمة بينما يبقى الآخرون فارغين.



٤ تنقية الصف من بواعث الغلو ومظان التمييع، والحرص على تتبع سياسة رشيدة في الأمور الشائكة؛ كالعلاقة مع باقي المكونات الثورية بأن ينزل كل مخالف منزلته فإن هذا يعطي مساحة في الفقه الإسلامي بكيفية التعامل معه، فلا يمكن جمع الأعداء بله المخالفين في سلة واحدة، وكذلك العلاقة بالمحيط الإقليمي والدولي (طالبان في أفغانستان نموذج ناجح في هذا المضمار وللاستزادة في معرفة أسباب نجاحهم يرجع لمقالات كتبها الأستاذ حامد عبد العظيم في مجلة كلمة حق).

٥ الحرص على بناء آلة إعلامية متينة تراعي فهوم الناس، مع الارتقاء بهم إلى الحد المعقول في الفهم والإدراك.. وتتبنى طرحًا قويًّا في تبيان عدالة قضية الشعوب المسلمة المقهورة ولفت النظر إلى ما يقوم به أعداؤها، وبث الوعي الصحيح بين أبناء الإسلام، وكذا التركيز على بث خطاب توعوي للمسلمين في الأطراف (شرق آسيا وأفريقيا)، وليكن الخطاب بلغاتهم فإن أمانة توعيتهم بأهمية الشعور بالروابط الإيمانية مع إخوانهم (العرب) له تأثير كبير في كسر إرادة حكامهم من العلمانيين والنصارى في الإبقاء على حاجز اللغة والبعد الجغرافي سببًا في إبعاد قضيتهم عن محور اهتمام باقي المسلمين.

٦ تبشير أهل الإسلام بعودة الخلافة الراشدة وتبيان معالمها للناس (وأنها حق وإن شوهها المدعون "داعش نموذجا")، وفي هذا المقام يرى د. حاكم المطيري أن معالم الدولة تتمثل في السيادة، بحيث لا يمكن أن تكون من صنع العدو الخارجي..



ويرى الدكتور أن إرجاع الخلافة دين على الأمة بغض النظر عن وجود نصوص تبشر بذلك! فالواجب على أهل الإسلام عامة وأهل العلم خاصة إيجاد رؤى ونظريات واقعية للعمل في البيئة القادمة التي بشر بها مالك بن نبي وجعلها كقضية حتمية في التاريخ .. وأشار الدكتور حاكم إلى أنه في حالة تعذر إقامة نظام الخلافة كمنطق سيطرة وحكم وقوة فلا أقل من إقامة أهل كل قطر عربي وإسلامي نظام حكم إسلامي راشد ليكون قنطرة للتوحد مع باقي الأطراف الإسلامية لإرجاع الخلافة كنظام سياسي إسلامي يوحّد أهل الإسلام. (الدولة الراشدة فريضة شرعية وضرورة سياسية، سوانح الفكر، اليوتوب).

ويرى الدكتور أن إرجاع الخلافة دين على الأمة بغض النظر عن وجود نصوص تبشر بذلك! فالواجب على أهل الإسلام عامة وأهل العلم خاصة إيجاد رؤى ونظريات واقعية للعمل في البيئة القادمة التي بشر بها مالك بن نبي وجعلها كقضية حتمية في التاريخ .. وأشار الدكتور حاكم إلى أنه في حالة تعذر إقامة نظام الخلافة كمنطق سيطرة وحكم وقوة فلا أقل من إقامة أهل كل قطر عربي وإسلامي نظام حكم إسلامي راشد ليكون قنطرة للتوحد مع باقي الأطراف الإسلامية لإرجاع الخلافة كنظام سياسي إسلامي يوحّد أهل الإسلام. (الدولة الراشدة فريضة شرعية وضرورة سياسية، سوانح الفكر، اليوتوب).

٧ الحرص على نظام الشورى وإلزاميته مع فتح الباب لكل مَن يدلي بجديد يفيد العمل الإسلامي، وتشجيع مَن تظهر عليهم علامات النباهة والتميز. والحرص على إعداد الأجيال بمدأ الترابط (كترابط المسبحة)، بحيث إذا قدر للصف الأول أن يذهب بموت أو غيره يُستخلفون بمن أعد سالفًا، ونتيجة عدم الأخذ بهذا الأمر هي غياب كثير من المشاريع العملية بمجرد ذهاب الرمز والموجه.



٨ **وأخيرًا..** أختم باقتباس من مقالة للأستاذ أحمد مولانا في مقال سابق له في مجلة كلمة حق هذه عنون لها (برؤية للعمل).. فجعل أهم مرتكزات العمل الإسلامي في اللحظة الراهنة:

(١) صناعة الوعي (٢) التطوير الذاتي (٣) توحيد الجهود لا الجماعات! (فهذه المرتكزات إن عمل عليها التيار الإسلامي.. سيصنع لنفسه رؤية يمكنه العمل من خلالها فضلًا عن تطويرها للقضاء على حالة التيه التي تضرب التيار الإسلامي)..

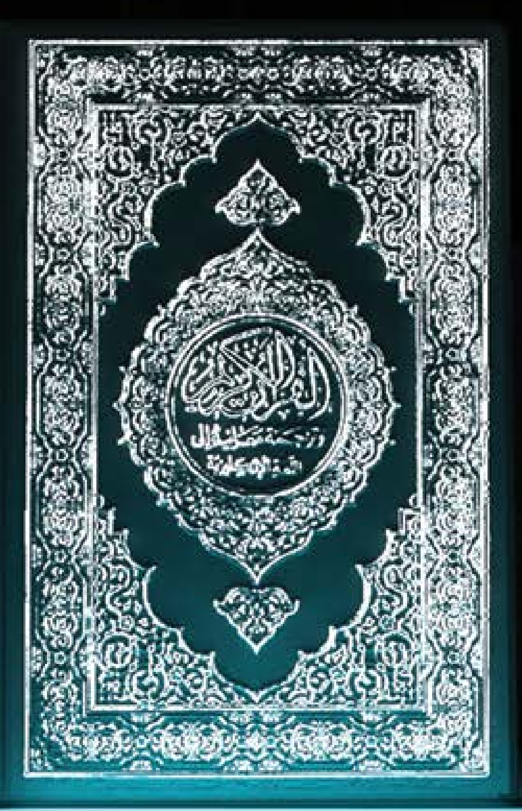
وذكر أيضًا أن "عصرنا الذي نعيش فيه لم يعد عصر القوى العظمى والدول القوية.. بل دخل على المشهد لاعبون جدد، لهم من القدرة على الإضرار بمصالح تلك القوى.. لعيشنا في ظل ثورات تقنية تراجعت معها سيطرة الأنظمة القمعية على المجال العام مما يتيح للأفراد إمكانية التأثير والفعل مع محدودية الإمكانات، شريطة توفر الإرادة والعزيمة والإصرار ". انتهى بتصرف يسير .



وختامًا أقول إن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد من الورقات، بقدر ما يحتاج لمزيد دراسات واستشراف للأوضاع، كل من جهته لتعقد المشهد من جهة، وكثرة الفاعلين فيه من جهة أخرى، لكن عذري أني حاولت والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





الثبات المهزوم والتحول المطلوب

د . مجدي شلش

أستاذ أصول فقه مساعد بالأزهر

الحياة حركة وتنقل في الأمور العادية، وكذا الشأن الفقهي والسياسي والاقتصادي والمجتمعي.

- الإمام الشافعي رحمه الله غير مذهبه لما انتقل من العراق إلى مصر، وقال تلامذته هذا تغير بيئة ومكان وزمان لا تغير دليل وبرهان. تلاميذ أبي حنيفة النعمان رحمه الله بعد وفاته خالفوه في ثلث المذهب، وقالوا: لو كان أبو حنيفة حياً لأفتى بما أفتينا به. كذا الإمام أحمد رحمه الله له في المسألة الواحدة أكثر من قول، ولو هناك دليل واضح الدلالة في المسألة لما انتقل إلى غيره، وهو المعروف عنه بتمسكه بالسنة.

- المسائل الفقهية متحركة، لم تقف في عصر من العصور على لون واحد أو طريقة واحدة، بل التراث الكبير العظيم الذي تركه الفقهاء يؤكد أن الفتوى ليست ثابتة في الأحكام الشرعية الفقهية، وأنها تتغير بحسب الظروف والعرف والعادات، وبالأخص النوازل منها والمستجدات التي ليس لها حكم معلوم في كتاب وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

شأن السياسة ومسائل المال كذلك، متجددة ومتطورة لا تقف على حال واحد، فلكل زمان طريقته في الحكم، وأدواته التي يقف بها على الواقع، بل لكل زمان رجاله وعلماؤه، والعالم الآن يتحول ويتغير، كل يوم بل كل ساعة فيه جديد غير مسبوق ومشفوع بسابقة نقيس عليها ما استجد من أمر الواقع.

كل هذا يرتب علينا اجتهادًا جديدًا لكل حادثة، والشريعة لها من المصادر الكثيرة التي تساعد على الاجتهاد، وتضبط كل جديد مهما كثر عدده من النوازال والمستجدات. الثابت عندنا أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، بقواعدها وضوابطها وكثرة مصادرها.

مستحيل أن تجد مسألة لا حكم لها في شريعتنا، فلا يخلو زمان من مجتهد عنده قدرة على استخراج حكم الله في النازلة المستحدثة. فالركون والثبات في مسائل الفقه والسياسة على لون واحد أو منهجية واحدة عورة وجريمة، واتهام للشريعة بالقصور وعدم الصلاحية.

العيب ليس في الشريعة وإنما في توقف العقول عند طريقة واحدة، وعدم إبداعها لواقعها المتجدد والمتطور. من هنا تأتي أهمية الاجتهاد والمجتهدين للخروج بالأمة من القديم الذي لا يناسب الواقع إلى الجديد الذي يقيم المصلحة، كل ذلك في ظل الثوابت الإسلامية التي لا تقبل التغيير أو التبديل.



هذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يستعين بالمشركين في الهجرة وغزوة أحد، ولا يستعين بهم في الخندق ومن بعدها. يصبر ويحتسب في مرحلة مكة على الأذى، ويقول لخباب بن الأرت رضي الله عنه: "ولكنكم قوم تستعجلون"، وهو ذاته الذي أجلى بني قينقاع من أجل كشف وجه امرأة مسلمة، وجيّش الجيش في مؤتة من أجل قتل رسوله الذي أرسله إلى الغساسنة.

بدر الكبرى لما رأى أخذ الفدية باجتهاد منه، نبه الله سبحانه وتعالى إلى حكم كان أولى من الفدية، وهو ضرب أعناق المشركين والمجرمين. أمر السياسة الشرعية والمال واسع جدًّا، لأنه يتطور بصورة كبيرة وخطيرة. واقعنا الآن في الفتوى شبه ثابت، لا يتحرك بحركة الحياة المتجددة، بعض الإخوة الكرام يعدون ما يقوله الشيخ الفلاني أو المفكر العلاني دينًا ثابتًا راسخًا رسوخ العقيدة، فلا نتقدم عنه ولا نتأخر، وهذا باطل لا ريب فيه.



قــد يصح اجتهاد لمرحلة زمنية لظروفها، وقـــد لا يصح قطعًا إذا تغيرت المـعـلـومـات التي بنى عليها القرار الأول.

مسألة السلمية المطلقة قد يكون لها بعض الوجاهة من الناحية الشرعية في زمن معين، لكنها ليست من ثوابت الدين أبدًا، ولا يمكن أن نهدم بها ديننا الذي تعلمنا فيه أن الجهاد فرض، وأن رد الصائل واجب، وأن محاربة الباغي والخارج لازم.

نعم قد يجتهد البعض، لكن الاجتهاد لا ينفي الثابت المستقر المعلوم من الدين بالضرورة. في نظري الذي قد يخطأ ويصيب أننا أدرنا الدولة بفقه الدعوة، الدعوة الأصل فيها الاستمالة والحرص على المدعو، والحكمة فيها بالقول الأحسن، والصبر على المدعو حتى يلين.

لكن فقه إدارة الدول ليس دائمًا على هذه الوتيرة، تعاملنا مع الإعلاميين المجرمين على أننا دعاة لا قضاة، فهدموا الدولة والدعاة معًا. تعاملنا مع المعارضة الخائنة لوطنها على أنها شريفة، فهدمت الوطن وباعته رخيصًا للعسكر.

تربينا على فقه الدعوة، ولم نتربَّ على فقه إدارة الدولة، نعم أعلم أن كثيرًا من شرفاء الوطن عندهم قدرة على إدارة الدولة، لكن خطابي للإدارة التي أدارت الدولة باسم الرحمة والشفقة والصبر، وهي من فقه الدعوة، لا من فقه الدولة.

الثبات على فكرة الصبر على الابتلاء وحدها فقط في مواجهة الأزمات جريمة وليس ثباتًا، العالم كله يفعل فينا ونحن المفعول به دائمًا.



ماذا لو رضخ الشعب التركي للانقلاب باسم حقن الدماء والصبر على البلاء وقال: فلنصبر خمسين سنة قادمة؟ الإجابة واضحة وضوح الشمس، لو نجح الانقلاب لقُتل من الشعب التركي أضعاف أضعاف ما قتل في مواجهة الانقلاب، ونحن رأينا ذلك في مصر، عقلية العسكر واحدة في تركيا أو مصر أو غيرهما.

ماذا لو رضخت قطر للحصار، وقالت قضاء الله وقدره، فلنصبر ولنحتسب أجرنا عند الله؟ لو فعلت قطر ذلك لدُكت بالطائرات والصواريخ والدبابات، لكنها رغم صغر مساحتها، وكثرة أعدائها وقفت ضد الحصار، ونجحت بفضل الله عليها ثم بحُسن إدارتها الأزمة.



متى نتحول من فقه الدعوة الفردية في إدارة أمورنا إلى عالمية الدعوة بثوابتها ومتغيراتها؟

مَن ركن إلى الصبر وحده في إدارة الأزمة فليراجع نفسه، وليتهم طريقته، وليخرج عن الساحة المتغيرة، فلا يناسبها ثباته الواقف، فإنه الثبات المهزوم، والتحول المطلوب هو الاجتهاد لكل نازلة، فهو التحرك المنصور.

الدستـور الحق وصراع الدساتير

د . عطية عدلان

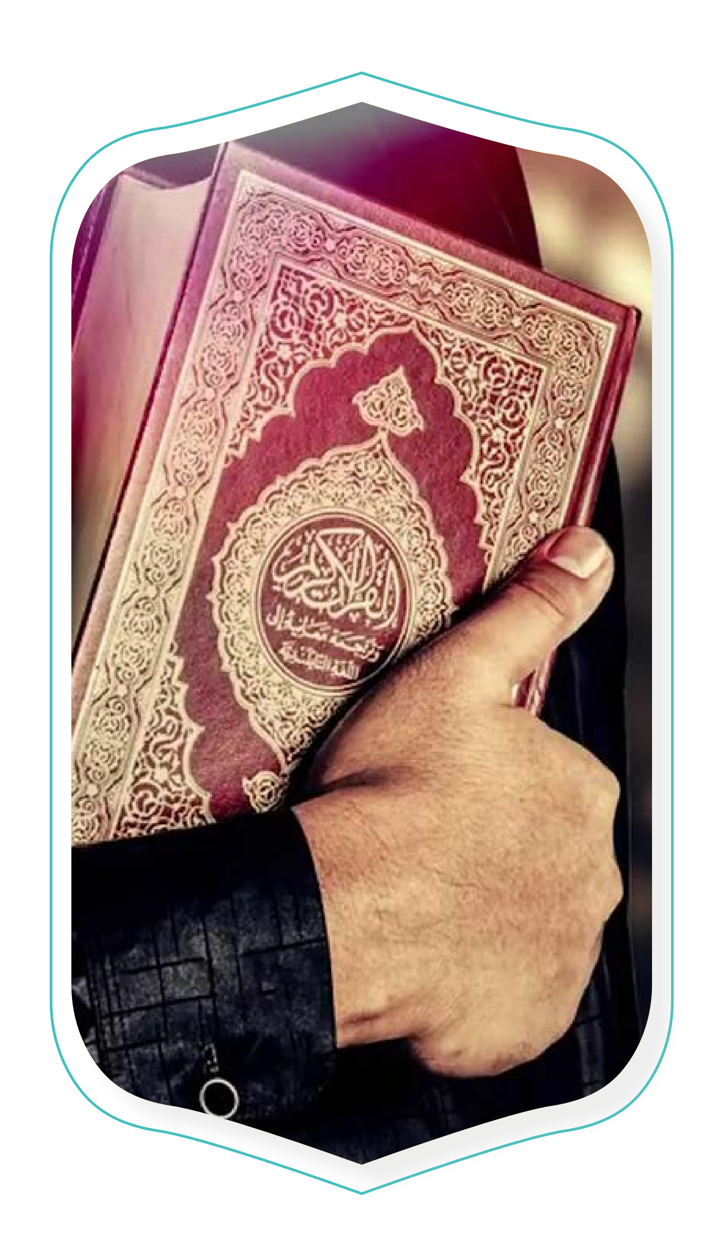
الحمد لله.. والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد ..

" في زحمة الدساتير والقوانين والشرائع واللوائح ينسى اللاهون العابثون الناموسَ الأكبر، المهيمن على كل ما تعج به الأرض وتضج به الآفاق مما اختاره الناس لأنفسهم أو أجبروا عليه، بينما المسلم الواثق بدينه الوثيق الصلة بأصوله وجذوره لا يغفل يوماً عن هذه الحقيقة التي وردت في كتاب الله كأصرح ما يكون الورود وأوضحه: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (المائدة ٤٨). "



ألا إننا بحاجة إلى تذكر هذه الحقيقة الدقيقة العميقة، فبرغم أهمية النقد والتعرية والفضح لممارسات الطغاة الذين يلعبون بمصائر الشعوب عبر العبث بالدساتير التي ربما لم يكن لها كبير وزن في إقرارها أو إنكارها وبرغم ضرورة الملاحقة لهذه الانحرافات الخطيرة والكبيرة بكل الوسائل الإعلامية والحقوقية والقضائية، وبرغم جدوى الممانعة والمقاطعة الشعبية على الأقل على مستوى إنضاج الوعي المجتمعي وتوجيهه؛ برغم ذلك كله يبقى التذكر لهذه الحقيقة والتذكير بها محورًا رئيسيًا في الحراك الثقافي والتوعوي والإيماني قبل ذلك؛ لأننا أمَّة صاحبة منهج ربانيّ تمتد جذوره في أعماق التربة الإنسانية وفي أغوار التاريخ الإنسانيّ، فلا مناص من الإلحاح في إبراز ما يجب إبرازه في مصطرع الهويات هذا.

والهيمنة صفة وخاصية لمنهج الله تعالى الذي اشتمل عليه الكتاب العزيز، وهيمنة المنهج الإلهي نابعة من صفة من صفات الله تعالى هي صفة الهيمنة، والمهيمن اسم من الأسماء الحسنى التي تتسع في دلالاتها وتمتد؛ لتشتمل على جملة من صفات الكمال ونعوت الجلال لله الكبير المتعال، فالمهيمن هو الرقيب على عباده الشهيد على أعمالهم، الحافظ لهم والمؤتمن عليهم، والقائم عليهم بما يصلحهم، هذا هو ما ورد عن أغلب المفسرين واللغويين[1].



وصفات الشهادة والرقابة والحفظ إذا خلت من الوكالة والنيابة واتصلت بالقيام على الشيء عكست معنى الحكم والسيطرة والإحاطة والاستحواذ؛ لذلك ورد من معاني المهيمن الحاكم والمسيطر والقيام على عباده[٢]، ومن هنا يمكن القول بأنّ منهج الله الذي يحويه كتابه العزيز له صفة الهيمنة بهذه السعة وهذا الامتداد، فهو رقيب على كل المناهج حاكم عليها، يصدق ما جاء فيها من حق، ويزيف ما عداها من باطل، ويزن بميزانه العادل الدقيق كل ما يصدر عن الخلق؛ فبقدر ما يقترب دستور أو قانون من منهج الله تكون درجته من المصداقية والأحقية، وبقدر ما يبتعد يفقد المصداقية والأحقية؛ حتى يعدمهما تماماً كما يعدم الميت نبض فؤاده وانتصاب عماده.



ونحن لدى تقديرنا وتقويمنا لأي دستور أو قانون أو ما شابه ذلك إن لم نستصحب كتاب الله ومنهجه وشرعه فسوف تضطرب الرؤية ويغيب الفهم ويعزب الوعي ويعزّ علينا وضع الأمور في نصابها؛ ومن هنا ندرك بعمق مغزى تلك الوصية الجامعة التي ختم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع التي ودع فيها أمته: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ"[٣].

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧) - تفسير القرطبي (٦/ ٢١٠) - زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٢٦٤) - تفسير البغوي - طيبة (٨/ ٨٧) - لسان العرب (١٣/ ٤٣٧) - تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٠٠).

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/ ١١٦) - التفسير الوسيط - مجمع البحوث (١٠/ ١٣٧٠) - لسان العرب (١٣/ ٤٣٧) - المعجم الوسيط (٢/ ١٠٠٥) - تفسير المنار (٦/ ٣٤٠) - تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٠٠).

فلننظر إلى تلك التعديلات الدستورية بمصر بمنظور الشرع، ولنقيمها بميزان الشريعة؛ لنخرج بجملة تصلح متكأ شرعياً لتحرك يوصف بأنّه إسلاميّ، إنَّ كتاب الله تعالى يقرر ابتداء أنّ السيادة إنّما هي لله وحده، ليست للحاكم ولا للشعب، (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (الشورى ١٠) (أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا) (الأنعام ١١٤) (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (يوسف ٤٠) (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء ٥٩)

"ومن ثَمَّ فإنّ أي قاعدة قانونية أو دستورية تخالف حكماً شرعياً ثابتاً أو نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عله وسلم فهي باطلة منعدمة؛ لمخالفتها لمقتضى السيادة الإلهية."

وإذا كان مبدأ سيادة الشريعة الإلهية قد تقرر وترسخ في محكم الكتاب؛ فإن مبدأ سلطان الأمة وكونها مصدر الشرعية لأي حاكم قد أخذ من القرآن نفخة الحياة؛ فها هو القرآن يقرر أنّ القرار السياسي منوط بالجماعة، فترى القرآن الكريم يخاطب الجماعة في كل ما يتعلق بمسئوليات الدولة التي كانت منوطة برسول الله وقت نزول القرآن، والأمثلة على ذلك من الآيـات المتعلقة بالسياسة والجهاد والعهود كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال: قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [الممتحنة: ١٠].

والذي امتحنهن بالفعل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقد سُئل ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء؟ قال: كان يمتحنهن: "بالله ما خرجت من بغض زوج ..."[٤] ومع ذلك جاء الخطاب للمؤمنين في مجموعهم.

وعلى هذا أكثر الآيات التي تعلقت بالسياسة والحرب ونظام الحكم: من أمثال هذه الآيات: وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ [النساء: ٥٨] فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ[النساء: ٥٩] فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا [محمد: ٤] بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [التوبة: ١] إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ[التوبة: ٤] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا [النساء: ٧١]، وهكذا في أغلب الآيات المتعلقة بشئون الأمة العامة.



ومن هذه النفخة المباركة انطلقت السنة النبوية قولية وعملية، وخلفها سنة الخلفاء التي دلنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض، تقرران المبدأ وترسخانه قولًا وعملًا، تأصيلًا وتطبيقًا، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما حضرته الوفاة لم يوصِ ولم يستخلف، برغم توفر الدواعي واستفاضتها، وانتفاء الموانع واستحالتها، وهذا أكبر دليل وأوضح بيان على أن الأمة هي صاحبة السلطان، وأن الله عز وجل أراد لها أن تكون على هذه الدرجة من الرشد والنضج والممارسة الواعية لحقها وواجبها.

---

(٣) صحيح مسلم (٢/ ٩٨٠).   (٤) إسناده حسن:رواه الطحاوى في مشكل الآثار برقم"٤١٨٢"(ج٩ص٤٢٨١)، وابن جرير في التفسير(ج٢٣ص٣٢٥) ورجاله ثقات عدا قيس بن الربيع الأسدي وهو صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه.

ويؤكد هذا ما روي عن عمر بن الخطاب أنه قال حين طلبوا منه أن يستخلف قال: «إِنْ أَسْتَخْلِفْ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللَّهِ»(٥)، ولقد همّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعهد، لكنه تراجع، روت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّه قال: "لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ، أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ»(٦)، أي: يأبى الله في قدره الرحيم ويدفع المؤمنون بتصرفهم السليم الحكيم، وفي هذا تصريح بأن المؤمنين هم الذين يمارسون هذا الحق، وأن هذا الأمر أمرهم.

وقد أكد الخلفاء الراشدون هذا المبدأ في سنتهم في الحكم قولًا وعملًا، فهذا أمير المؤمنين عمر يقول:
« مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُتَابعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا»(٧)، وعن عليّ قال: "يا أيها الناس عن ملاء وإذن؛ إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم، وقد افترقنا بالأمس على أمر، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد"(٨).

إنّ إرادة الأمّة هي التي تقرر، وليس إرادة الفرد الحاكم، هذا هو منهج الله تبارك وتعالى، وقبل أن تقرر المؤسسات الدولية والأعراف الإنسانية هذا الحق قررته شريعة الله تعالى، ونحن منها ننطلق وإليها نعود في كل صغيرة وكبيرة في حياتنا، فهذه الدساتير قبل أن يحكم عليها الناقدون بميزان العدالة الإنسانية حكمت عليها شريعة الله بميزان الدستور الحق دستور السماء.

" وإنّ الأمــة الإسلامية مـا لم تجعل كتاب الله نصب عينيها وهي تتحرك مطالبة بحقوقها المشروعة، فسوف يعز عليها بلوغ ما تريد؛ لأننا أمة صاحبة كتاب وصاحبة منهج رباني، وسعيها بدونه كسعي المقاتل للميدان بدون سلاح ولا عتاد، والله المستعان. "

(٥) متفق عليه رواه البخاري ك الأحكام باب الاستخلاف برقم"٦٧٠٧"(ج١١ص٥٤١٢)، ومسلم ك الإمارة باب الاستخلاف وتركه برقم"٥٠٤٣"(ج٥ص٢٣٨٥).
(٦) روه البخاري ك الأحكام باب الاستخلاف برقم"٦٧٠٦"(ج١١ص٥٤١٢)، ولمسلم رواية أخرى مشابهة عن عائشة.
(٧) صحيح: رواه البخاري ك المحاربين من أهل الكفر والردة باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت برقم"6358" (ج11ص5126).
(٨) تاريخ الطبري (٢/٧٠٠).



من التاريخ:

شيوخ الأزهر صوت الشعب

كان للشيخ عبد الله الشرقاوي [١] حصة في قرية بشرقية بلبيس، فحضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفي أحد كبار المماليك، وذكروا أن أتباع الألفي حضروا إليهم وظلموهم، وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه، واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ وحضر إلى الأزهر مع جمع المشايخ، وقفلوا أبواب الجامع.

وذلك بعد ما خاطب مراد بك وإبراهيم بك فلم يبديا شيئًا، ففي اليوم الثاني ذهب العلماء أيضًا إلى الأزهر وقفلوا الجامع، وأمروا الناس بغلق الأسواق والدكاكين.

ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم، وذهبوا إلى بيت الشيخ السادات، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم إبراهيم بك، وقد بلغه اجتماعهم فبعث من قِبله أيوب بك الدفتردار، فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم؟

---

(١) من كبار علماء الشافعية، وتولّى مشيخة الأزهر فترة.

فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها!

فقال: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله، فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات.

فقالوا له: هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس! وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك والأمير يكون أميرًا بالإعطاء لا بالأخذ؟

فوعدهم بإبلاغ من أرسلوه، وانصرف ولم يعد لهم بجواب، وانفض المجلس.

وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر، واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد.

وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يعضدهم ويقول لهم: أنا معكم! وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي. وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك.

فبعث مراد بك يقول: أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين، ديوان بولاق، وطلبكم المنكسرَ من الجامِكِيّة[٢]، ونبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثًا.



ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم، فذهبوا إليه بالجيزة، فلاطفهم والتمس منهم السعي في الصلح على ما ذكر.

ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة، وفي اليوم الثالث حضر الباشا إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمراء هناك وأرسلوا إلى المشايخ، فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير، وكان المرسل إليهم رضوان كتخدا إبراهيم بك، فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعي خلفهم.

ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم.

وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسًا موزعة، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين، ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس، ما عدا ديوان بولاق، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس، ويرسلوا صرة الحرمين والموائد المقررة من قديم الزمان، ويسيروا في الناس سيرة حسنة.

وكان القاضي حاضرًا بالمجلس فكتب حُجة عليهم بذلك، وفرمن عليها الباشا وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا.

وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة، وهم ينادون حسب ما رسم ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية[٣].

---

(٢) "الجامِكِيَّة" أي: المرتب، والجمع: جوامك.

(**٣**) يُنظر أصل القصة في: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، (٢/ ١٦٦-١٦٨).

مقال عالم أسير

من لم يُعانِ لا يفهم المعاني

عبد العزيز الطريفي (فك الله أسره) *

إذا لم تتحرك الفطرة، والعفاف والطهر، فاجعلوا التاريخ لا يجد منكم إلا الصمت، فالصمت لا يكتبه التاريخ، ولا يصوره الزمن، ولا تعرفه الكتب، ولا يُحتاج معه في الغالب إلى الاعتذار.

الحمد لله حق حمده، والصلاة على نبيه وعبده.. أما بعد:

فيُروى عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري قال: « لا تتكلم بكلام تعتذر منه غداً، واجمع الإياس مما في أيدي الناس » .



التاريخ يكتب ويدوَّن اليوم، وأحداثه الصعاب لا يقررها من لم يكتوِ بنارها، ومن لم يعتدْ على الاستقلال برأيٍ، وسيقرأ التاريخ غيرُنا حينما تزول الحجب من الأعين، وتزول المصالح والمُتع والمطامع، ولا يبقى للإنسان لذة قائمة فيما قاله، ويبقى التجرُّد وحده، ويندم ولات حين مَنْدَم، ويُسَطَّر ما يكون معرّة إلى يوم الدين.

الظروف التـي تحيـط بأمتنا، لا يحكمهـا رأي واجتهاد دعـت إليه مصالح شخصية، وبُني على نظرة قاصرة.

كل من جسر على القول في تخذيل الشعب العراقي، ورماه بسائر العلل، وكال وبالغ في رمي التهم، أو دعاه إلى التخبط والتهوُّر والمجازفة وتفريق الكلمة، ورَمي الحكمة والأناة، أقول له: "لا تتكلم بكلام تحتاج أن تعذر منه غداً" حينما تتلاشى المصالح، ولا يبقى إلا الاعتذار..

ماذا يراد من شعب انتهك عرضه، وسُلبت خيراته، وسُفك دمه، في قعر داره، وقِيْدت محارمه من أبواب المدارس إلى متعة الغزاة، وحَمَلت آلاف العذارى المسلمة فيه بلا أزواج.

التاريخ الماضي دُوِّن لنا لنقرأه، وسيدون تاريخنا لغيرنا ليقرؤه، التاريخ كُتب لنا لنعتبر، لا لنتسلى، ونتسامر، كتب كما قال ابن الأثير في مقدِّمة "تاريخه": ليعلم الظلمة أن أخبارهم الشنيعة تنقل وتبقى بعدهم على وجه الأرض، وفي الكتب ليذكروا بها ويذموا ويعابوا..



ألم نقرأ تاريخنا القريب، وأحوال الجزائر المسلمة حينما احتلها المستعمر "الفرنسي"، وسفك على أرضها أكثر من "مليون مسلم"، ونُزعت "فصول الجهاد" من الكتب الفقهية، ومُنع العلماء من إقراء أبواب الجهاد في كتب السنة، وسمِّي قتال المحتل وجهاده وإخراجه من بلاد المسلمين خروجاً وفتنة، واجتمعت كلمة أكثر أهل العمائم على هذا، وما إن انْجلت الغشاوة، ونزعت الرهبة والرغبة، حتى سُمِّي أولئك بالشهداء، وسُمِّيت بلاد الجزائر إلى اليوم "بلد المليون شهيد".

رسالة إلــى العلمــاء أقولها وأفوض أمــري إلـى الله: من لم يُعانِ لا يفهم المعاني، والله يشهد وملائكته وجميع خلقه، أنني أكتب هذه الأسطر، وأنا مستيقن أن نساء العراق يغتصبن، وفي السجون أكثر من عشرة آلاف امرأة عراقية، وثابت عندي وعند غيري كثبوت الأصابع في الكف أن منهن من تُقاد بالسلاح عند خروجها من المدارس والجامعات بسيارات المحتل إلى متعة جنوده، والذكور والإناث يقتلون ليلاً ونهاراً، بأيدي محتل ظالم، والصمت ملعون إذا نطق الحجر، والعلم أمانة، وتبليغه ديانة، والصمت عند العجز؛ أدنى دركات الخيانة، تأملوا وتدبروا وتفكروا في الحال، تدركوا المآل، تجردوا من كل لباس إلا لباس التقوى، ومن حُرم التوفيق ضل في القول والعمل.

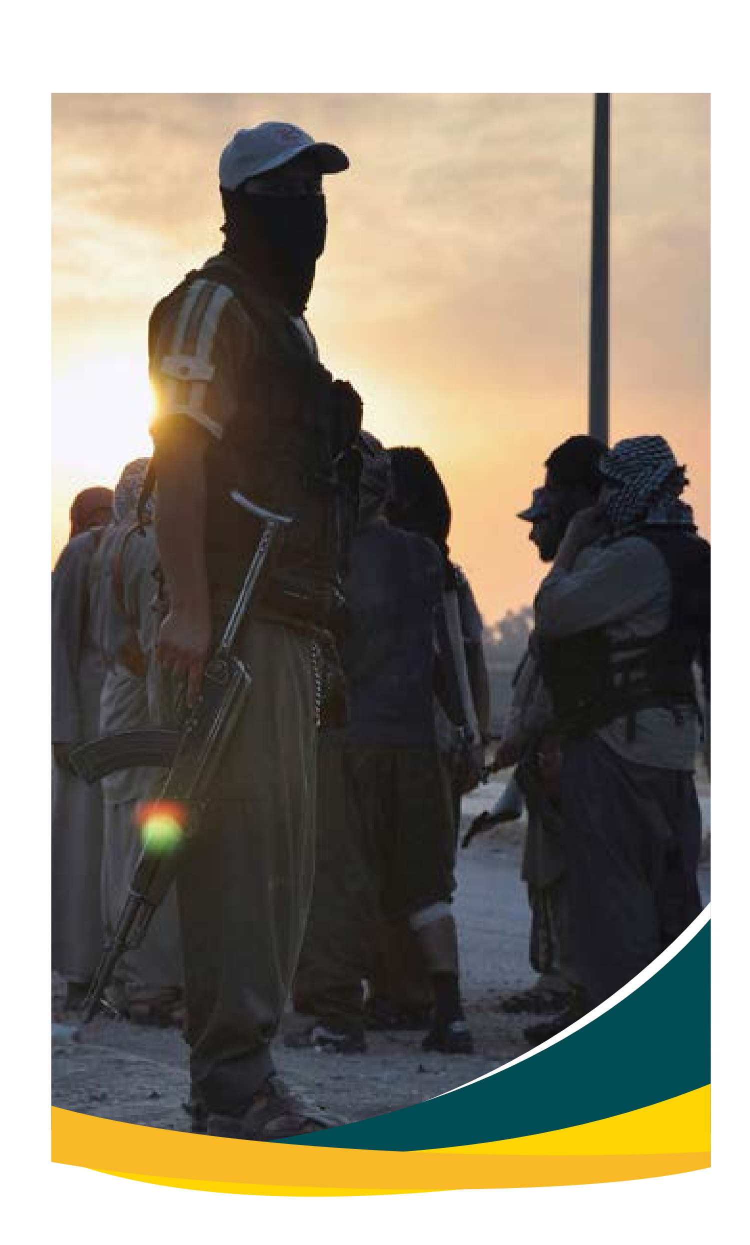


إذا لم تتحرك الفطرة، والعفاف والطهر، فاجعلوا التاريخ لا يجد منكم إلا الصمت، فالصمت لا يكتبه التاريخ، ولا يصوره الزمن، ولا تعرفه الكتب، ولا يُحتاج معه في الغالب إلى الاعتذار.

دعوا العراقيين في أنفسهم، وشأنهم، فهم أعرف الناس بحالهم، فالشاهد يرى ما لا يرى الغائب، واعلموا أن الإعلام ليس بأيديهم، بل يملكه غيرهم، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهو أعظم فتكاً في أمتنا من السلاح، شوَّهوا به الإسلام، وفرَّقوا به الشعوب، ونشروا العنصريات، واختلقوا الأكاذيب، وحاكوا القصص، وفيكم سمَّاعون لهم كثير.

في العراق أعراق، وعقائد ومذاهب، كما في غيره، لا يسقط بتفرقهم؛ دفعُهم عن حرماتِهم ودينهم، ما دام يجمعهم أصل الإسلام.. وفي كُل بلد عربي، أرباب بدع وضلال، يجمعهم مع أهل السنة الإسلام .

خـــذوا بالعزيمة؛ وليكن أقـل أحـوالـهـم؛ دفعهم عن المال والعرض والأرض، وقل لي بربك: أفي هذا فتنة أم دين وشريعة؟ روى قابوس بن أبي المخارق، عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت إن عرض لي رجل يريد مالي، ما أصنع؟ قـال: «ذكره بالله عز وجل، فإن أبى فاستعن عليه بالمسلمين». قـــال: فـــإن تـأتـى عـنـي المسلمون؟ قال: «فقاتل عن مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تحرز مالك» (أخرجه النسائي وأبو نعيم وغيرهما).



أُدرك أن ثقافة المنتصر وتاريخه وبصمته هي السائدة، والعين التي يبصر بها الكثير، ولكن هذا ما رأيتُ نصوص الوحي ناطقة به، بأفصح لسان، وأظهر بيان، وهو ما يدركه العقل الصحيح.

والمقصود: أن هذا المقال، أدعو به إلى ترك أهل العراق وشأنهم على الأقل، فلا يفتنوا في دينهم؛ ودفاعهم عنه وعن عرضهم وأرضهم، ممن لم يُدرك للمعاناة معنى، وليس راءٍ كمن سمع، فهدهد سليمان غاب عنه، وأدرك ما لم يُدركه نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعد معاينة ومشاهدة: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل:٢٢].



ومن فضول القول أن هذا المقال ليس له إلا ظاهر، فلا يُلتمس فيه باطن عبارة، أو بعيد إشارة، وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

* نعيد نشر هذا المقال للعالِم الأسير بمعتقلات السعودية، عبد العزيز الطريفي

وهو منشور بتاريخ ٢٧ -١٢-٢٠١٠ بموقع طريق الإسلام iswy.co/e4bfj

أدب المقاومة المبعثر

حامد عبد العظيم



الأنظمة السياسية والقمعية تحاول دائمًا مهما كانت أيديولوجيتها تقديم المقاومين للناس على أنهم إرهابيون ودمويون ومتوحشون بلا رحمة أو قلب، وبالطبع نتيجة عزل المقاومين والمجاهدين عن الوصول إلى الناس عبر الإعلام، يصدق كثير من الشعوب هذه الدعايات ويُرجعون أي نقيصة ومصيبة إلى المقاومة ورجالها ونسائها، فالنظام المستبد يُسند أسباب فشله إليهم ويعلق طغيانه على شماعة المقاومة.

المتنفس الوحيد

لذلك كان المتنفس الوحيد للمقاومة هو الأعمال الأدبية الصادرة عنهم، من روايات المحنة والدم، وقصائد المآسي والبطولة، ورسومات القهر والعزلة، وغير ذلك من الأعمال التي ينفث المقاوم فيها إحساسه وشعوره لعله يسلي بها إخوانه في الدرب، ولعله أيضًا يصل إلى الفئات الشعبية المغيّبة بأسلوب آخاذ وآسر للروح فيتأثرون وتزول غشاوة تأييد الاستبداد عن عيونهم وينضمون للمقاومة في سبيل نصرة الحق والعدل.

في هذه الأعمال الأدبية تُخلد قصص الأبطال، ويعبّر المقاوِمون عن مشاعرهم وأفكارهم، من حزنٍ ورثاء وغضب ووجهة نظرهم عن العالم، وتعبر فيها الزوجات عن مرارة فقد رجالهن أو أبنائهن أو آبائهن أو إخوانهن، وكيف كان رجالهن المقاومون يعطفون عليهن ويحملون قضية يرخصون أنفسهم في سبيلها وعن تجربةِ أن تكون المرأة زوجة أو أختًا أو أمًّا أو ابنة لمقاوِم، وعن كيفيّة التعامل مع فقده إن فُقد أو قُتل أو أُسر.

تاريخ ونبراس

من أهم فوائد أدب المقاومة أيًّا كان شكل هذه المقاومة، أنه يحفظ قصة المقاومة ويلهم بها مقاومي ومجاهدي الأجيال الجديدة الناشئة، فالقراءة عن فضل الجهاد بالكلمة أو النفس شيء، ورؤيتها ماثلة في روايات حقيقية وواقعية شيء آخر، و"ليس الخبر كالمعاينة" كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.



والإلهام هنا يكون كالوقود المتدفق الذي يُشعل نار المقاومة والإباء في النفس السليمة، إذ إنها ليست قصصًا جافة جامدة بل خرجت في أشكال أدبية متنوعة فيتضاعف التأثير بسبب نفس العمل الأدبي، ولجزء الصدق والواقعية المتوفر في القصة ذاتها.

الاستفادة من جميع قصص المقاومة

لسائل يسأل لماذا لا نستخدم مصطلح "أدب الجهاد" أفضل؟ هل نحن نتبرأ من كلمة الجهاد مثل منهزمي المسلمين؟



بالقطع لا، فالجهاد شرف هذه الأمة، بل لا تجد أمة من الأمم إلا وتفتخر بمجاهديها وترفعهم فوق الرؤوس وتبني لهم التماثيل وتحيي ذكراهم، فقط أمة الإسلام التي يطالبونها بأن تكون بلا جهاد حتى تكون لقمة سائغة في فم أعدائها، فجهاد الأمة هو الوحيد الذي يُسمى إرهابًا، أما إرهاب دولة مثل أمريكا رغم أنه خلف ملايين القتلى إلا أنه يظل دفاعًا عن النفس!

إذن فلماذا نستخدم "أدب المقاومة"؟

الجواب أن أدب المقاومة أعم وأشمل من أدب الجهاد، فنحن نريد الاستفادة من جميع أشكال أدب المقاومة وليس الجهاد فقط الخاص بالمسلمين، لأن جميع أدبيات المقاومة ملهمة في الجانب المتعلق بالأدب، وجميع المقاومين أصحاب القضية العادلة يشتركون في الجزء المتعلق برفض الظلم ورفض القهر ورفض استلاب الحقوق، ويتقاطعون في السعي لنيل حقوقهم بأيديهم لمعرفتهم أن الضعيف لا مكان له في هذا العالم، وليقينهم بأنه "لكي تأخذ حقك لابد أن تُحدث بعض الضجيج"، كما قال مالكوم إكس رحمه الله.

أما الاختلاف في الأيديولوجية والمنهج فهذا مستوى آخر لا شأن لنا به الآن بهذا الصدد، ونرفض بالطبع كل ما يتعارض مع ديننا، ولكن لا يمنعنا هذا من استلهام العبر من أدب المقاومة في كل أمة.

التراث الإسلامي



بالنظر إلى تراثنا الإسلامي نجده يعج بأدب الجهاد والمقاومة، حتى أنك من السهل أن تقول إنه لا يوجد تراث في هذا العالم يمتلأ بأدبيات المقاومة مثل تراثنا، فهذا الدين قد نزل أول ما نزل على قوم عشقوا الأدب، شعرًا ونثراً، وبجانبه كان الإباء سمتَهم، وكانت الحرب ديدنَهم، وكانت نصرة المظلوم دينًا عندَهم.

وببعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، زاد شأن الجهاد في سبيل الله، وقيمة نصرة المظلوم، حتى لو كان هذا المظلوم غير مسلم، ولم يعارض الرسول الأعمال الأدبية، بل نُقل عنه قوله: "أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل".

ولبيد هو لبيد بن ربيعة من فطاحل شعراء الجاهلية الذين أسلموا.



وبذلك اختلط الجهاد ونصرة المظلوم ومقاومة الظلم بالإسلام وتوجيهاته وبالأدب والفن، فنتج عن ذلك العمل الأدبي الإسلامي الرائق ما بين شعر ونثر ورواية، تجسد البطولات الحربية وشجاعة المجاهدين وسير الشهداء وكراماتهم، الأمر الذي شكّل رافدًا أساسيًا من روافد الجهاد في سبيل الله الذي لا ينقطع إلى يوم القيامة، ومُلئت الصحائف والكتب بما يشبه الوقود المتدفق الذي يبعث على التضحية بكل غال ونفيس للموت على ما مات هؤلاء الذين خلّد أدب الجهاد سيرتهم وأعمالهم.

ومن القصص التي خلدها أدب الجهاد والمقاومة الإسلامية، قصة الصحابي الجليل البراء بن مالك رضي الله عنه، البراء بن مالك ففي حرب اليمامة ضد جيش مسيلمة الكذاب، اشتد القتال، وقُتل من حملة القرآن أربعمائة وخمسون، وصبر الصحابة في هذا الموطن صبرًا لم يُعهد مثله، ولم يزالوا يتقدمون إلى نحور عدوهم حتى فتح الله عليهم، وولّى الكفار الأدبار، واتبعهم الصحابة يضعون السيوف في أعناقهم حتى ألجأوهم إلى "حديقة الموت". فقال البراء: "يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة"، فاحتملوه فوق الجُحف التروس من جلود ورفعوها بالرماح حتى ألقوه عليهم من سورها، فلم يزل يقاتلهم حتى فتح بابها، ودخل المسلمون الحديقة وقضوا على مسيلمة وجيشه.

في أدب المقاومة الياباني لا يمكن ألا تسمع عن "الكاميكازي"، الذين أصبحوا علامة على البطولة والشجاعة والتضحية بالنفس وعدم الخوف، فخلال الحرب العالمية الثانية، وفي المعارك بين اليابان والولايات المتحدة، فوجئ الأمريكان بالطيارين اليابانيين يحلقون بكثافة كسرب النحل بطائراتهم المتهالكة، لكن ليس لإلقاء القنابل على السفن الأمريكية، بل يلقون بأنفسهم وبالطائرات إلى قلب السفن وحاملات الطائرات الأمريكية.

وقد تدفق عدد هائل من المتطوعين لتنفيذ هذه المهمة، إلى درجة أنهم أصبحوا أكثر من عدد الطائرات، حتى إن صاحب هذه الفكرة الكابتن أوكامورا شبَّههم بسرب من النحل، نحل يموت بعدما يلسع.

وفي رسالة كتبها **«إتشيزو هاياشي»** أحد الطيارين الفدائيين قبل بضعة أيام من موته، قال: "أنا مسرور لنيل شرف أن أكون أحد أعضاء الكاميكازي، لكنني لا أستطيع إيقاف دموعي عندما أفكر فيكِ يا أمي. عندما أفكر في الآمال التي حملتِها لمستقبلي أشعر بحزن شديد لأني ذاهب إلى الموت دون فعل ما يجلب لك السرور".



ما يقرب من ثلاثة آلاف كاميكازي نفذوا المهمة، ما سبب ضررًا لـ ٣٦٨ سفينة، وقُتل أربعة آلاف و٩٠٠ جندي أمريكي، وأصيب أكثر من أربعة آلاف و٨٠٠، وهذه النتيجة تحققت رغم أن ١٤% فقط من الكاميكازي أصابوا أهدافهم بنجاح (١) .

خاتمة.. احفظوا أدب مقاومة جيلنا

هكذا في كل أمة تجد قصصًا وأشعارًا وأدبيات تخلد ذكرى من قاوموا في سبيل قضيتهم، وفي أيامنا هذه تقاوم وتجاهد شعوب أمتنا العدو الصليبي والصهيوني والمنافقين من الحكام الذين باعوا دينهم ووطنهم بثمن بخس، وقد ظهرت أدبيات كثيرة من كتب وأشعار وقصص، ولكنها منفرطة العقد، ولا يُهتم بجمعها وتصنيفها وعمل المواقع والمدونات لها، أو جمعها في كتب ونشرها سواء مطبوعة أو بصيغة إلكترونية، وهذا لا شك يُضيع الكثير من هذا الكم الهائل من الأدبيات التي تسجل تاريخ مقاومة جيلنا ويحول دون تسليمه للأجيال التي بعدنا.

فهل من قرائنا وأحبابنا من ينهض لجمع القصائد والأناشيد والكتب والقصص ومنشورات مواقع التواصل الاجتماعي ويضعها في كتاب مُقسم إلى أبواب؟ باب لمصر وباب لسوريا وباب لفلسطين وباب للعراق وباب للشيشان وباب للصومال... إلخ؟ وكل باب يُقسم إلى فصول، فصل للشعر، وفصل للروايات، وفصل للرسومات وفصل لمعاناة التعذيب والفقد والتهجير... إلخ؟

بأيدينا الكثير لتقديمه لأبنائنا ومن يأتون من بعدنا.. فهل من مُشمر؟

---

(١) مشاهد حقيقية لهجوم الكاميكاز www.youtube.com/watch?v=hziFBOx4yqc
www.youtube.com/watch?v=SM2esx5Ov5g

مشهد تمثيلي لهجوم الكاميكازي على البحرية الأمريكية: www.youtube.com/watch?v=czAwsE7yLBc

للمزيد: فراس المعصراني، كاميكازي النحل الياباني المحارب، ١٨-٨٠-٢٠١٨م، موقع منشور.

klmtuhaq



العدد ٢٢ ، مايو ٢٠١٩ | كلمة حق

المشرف العام
محمد إلهامي

مـــدير التحـــريـــر
حامد عبدالعظيم